اشتغالات
في اللسانيات التداولية

الدكتور
خالد حوير الشمس
جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الإنسانية



اشتغالات
في اللسانيات التداولية

اشــــتغـالات

في اللسانيات التداوليـة

الدكتور

خالد حوير الشمس

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الطبعة الأولى / ٢٠٢٢م





مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع-نشر-توزيع)

اسم الكتاب: **اشتغالات في اللسانيات التداولية**

اسم المؤلف: **الدكتور: خالد حوير الشمس**

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ٧٥ لسنة ٢٠٢١م

ردمك: **I.S.B.N.978-9922-669-04-5**

الطبعة: الأولى / ٢٠٢٢م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ١٤٧

العراق – بابل – الحلة – شارع ابو القاسم – مقابل جامع ابن النما

هاتف : 009647801233129

E-mail:alssadiq@yahoo.com



الإهـــــداء

المتشابهتان جدا تأويل، وأيسن

غاية ما في اللقيا تلك البسمة.

فهـــرس الكتـــاب

مقدمة الكتاب

بسم الله الواحد، الأحد، الفرد الصمد، القدير المتعال، المنعم، المجزل، المفضل، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، وعلى آله الأطهار...

تتطور اللسانيات التداولية، وتزداد إشكالياتها، وتتوسع مفاهيمها بحجم التلقي الذي تمر به، فقد تولدت في الفضاء المعرفي بعض من التصورات، نحو التأويل التداولي بوصفه مقولة كبرى من مقولات التداولية المعرفية، ثم النظر إلى التداولية والحجاج، منفصلين، مع بروز أنواع جديدة من التداولية في الدرس العربي، ومنها التداولية المدمجة، وعدم اتضاح مفهومها، والتداولية التعليمية، التي تؤشر العلاقة بين اللسانيات التعليمية واللسانيات التواصلية، هذا فضلا عن علاقة التداولية بعلم لغة الانترنت، هذا الفرع اللساني البكر، الذي له حاجة إلى إيضاح، وتبيين، ويقوم على دراسة واقع اللغة في شاشات التلفون، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، هذه التصورات عائمة، ومبعثرة في طيات الكتب، ففضلت أن أبدي رؤيتي بعض الشيء، وأقدمها للقارئ، عسى أن أكون قد خدمته، وخدمت العربية.

يتكون الكتاب من ستة فصول، ويأتي الفصل الأول بعنوان: علاقة التداولية بالتدريس مسعى لتبني تداولية تعليمية، يعالج جملة من المشكلات التي تصادف التدريسي في قاعة الدرس، ولم يُحدد بمستوى دراسي معين سواء أكانت المرحلة مدرسية أم جامعية أم خارجهما.

فمشاربه متعددة، لذا لا يمكن له أن يسجل تصورا كاملا عن التداولية أو عن التداولية التعليمية، بل في النية أن نقدم تصورا عاما لها؛ من أجل جذب الانتباه إلى السمات التداولية في التعليم، وبقاء الباب مفتوحا لمن أراد، مع أننا لا نفرض رؤيته على أحد.

الفرضية التي أتحرك بها أن العملية التعليمية (التدريس) بأنها خطاب، والخطاب كما هو معروف أركانه ثلاثة المتكلم(المدرس) الموضوع (الدرس أو مادته) والمتلقي(الطالب)، فيناقش كيف للمتكلم المدرس أن يرسل خطابه إلى المتلقي، على وفق آليات معروفة لدى الدارسين في المنظور اللساني الحديث، إذ التداولية عملية

تواصلية من الطراز الأول، أي أن يستعير البحث التداولية من أنها منهج لتحليل الخطاب إلى آليات يستعملها المتكلم.

مبتغاي: كيفية تحقيق الانتظام (التفاعل) بين المتكلمين الطالب والتدريسي، كي يتأسس لدينا تداولية خاصة تسمى(التداولية التعليمية)، يفيد الأستاذ منها ليكون ناجعا في إيصال مادته العلمية.

ناقشت في الفصل الثاني (التأويل التداولي المفهوم والتكوين والتجليات)، وهدفت فيه إلى التنقيب عن التأويل، بوصفه لحظة في مقام التواصل التداولي. وهنا يتوجب استجلاء مفهومه لدى التداوليين، وعقد مقارنة مع مفهومه الكلي؛ لغرض رسم حدود ما يسمى بالتأويل التداولي، وبيان شروطه، وأركانه في المظان التداولية الحديثة كمساحة للبحث.

جرى تنميط التأويل على أربعة أنماط هي: النمط الديني، والنمط الأدبي، والنمط غير الأدبي، ونمط التأويل التداولي المتعلق بالمحادثة؛ بغية إذكاء المعاني وراء النصوص، والمكوَّن من حيثيات تتوقف على الملفوظات اللاحنة، وكذلك التراكيب الواضحة، والتعدد والاحتمال، والاستنتاج، والاستنباط، والسياق، وارتباطه بالمعارف السابقة، وعَلاقته بالمتلقي، وبعض المؤشرات الاجتماعية التي تساعد على إقرار الدلالة. وتلك المحددات كلها تثري البحث الألسني بتجليات ناقشها التداوليون بوضوح في أفعال الكلام غير المباشرة، والمعنى الضمني، والاقتضاء **التداولي**، والاستعارة، والاستلزام الحواري، ومبدأ التعاون، والعناصر الإشارية، والإحالة المعجمية، والحجاج، والبنى التسويرية.

فخرجت بنتائج مهمة، يقر الباحث بمدى جديتها؛ ليكون له فضل السبق في بيان مفهومه الدال على أنه نشاط ذهني يمارسه المتلقي بعد الغوص في طبيعة البنى الصورية المتماشية مع مكنة المتكلم، وأنه يكون عبر آليات تداولية تنتمي إلى علم اللغة نحو التراكيب، وعلم النفس في الإدراك، وعلم الاجتماع في مسألة البعد الاجتماعي، وأثره في تسجيل دلالة النص، وكذلك المنطق في الاستدلال، والاستنتاج.

كل ذلك كان في مسارات تداولية تنتمي لجهود أوستين، وسيرل، وكرايس، وجون لاينز، وغمبرز، وسبربر وولسن، وجاك موشلار، وآن ريبول، وأحمد المتوكل، وغيرهم.

ويدرس الفصل الثالث (التداولية المدمجة إجالة في المفهوم والتلقي العربي)، ويوضح حدود التداولية المدمجة، وطبيعتها، وكيفية تصدير المتلقي العربي لها. وينطلق من مشكلة أن بعض الدارسين جعل التداولية المدمجة تساوي تماما النظرية الحجاجية اللغوية عند ديكرو، مما ولَّد مفهوما، مشوها لها في الدراسات النظرية، والتطبيقية، بلحاظ عدم اتضاح مفهومها.

سأبحث عن مفهوم التداولية المدمجة، بوصفها صورة متطورة عن التداولية المنحدرة من الفلسفة العادية، بعيدا عن تماهيها في مقولات متعددة، ومنها مقولة الفعل الكلامي، والإشاريات، وتداولية الاستلزام الحواري، بل ركزت المدمجة على مقولة دمج التداولية في الدلالة، وهنا نلحظ معنى الإندماج، أي: القائم على الخلق التواصلي في البعد اللغوي. لكن يبقى السؤال المهم جدا ما تفسير ذلك اللغوي؟

وسأقوم في البدء بعرض مفاد نظرية ديكرو الحجاجية اللسانية، كي يتأهل القارئ لهذا البحث أن يوازن بين اشتغالات الحجاج اللساني، واشتغالات التداولية المدمجة؛ ثم تعريفات التداولية المدمجة، وما يتعلق بطبيعتها، ونشأتها، وأسباب خلطها مع نظرية ديكرو، ثم من ينادي بالفصل بينهما من المحدثين الدراسين.

ويسجل الفصل الرابع : الحجاج والإقناع والتَّداولية التَّصوُّر والعَلَاقة، المشكلة التي تتبدى عند قراءة الكتب الحجاجية؛ إذ إنها لا تشخص الخيوط الفاصلة بين الحجاج والإقناع، حتى نراهما كأنهما واحد، وكلما ذكر الحجاج سبقه الإقناع ناهيك عن المشكلة الأخرى المتمثلة بدراسة الحجاج ضمن المعطى التداولي، وهناك من أجهد نفسه بتقريب الهُوَّة بين الحجاج والتداولية مع أنهما مختلفان بالمُنطَلَق، والمجالات، والرؤية.

ولسبر تلك المساحات الخاصة بهذه الثلاثية سأبدأ ببيان تصور معين عن الحجاج، ثم تصور آخر عن الإقناع، إلى أن أصل إلى تصور عام عن التداولية،

منتهيًا إلى تسجيل العَلَاقة بينهم من جهة الالتقاء، والافتراق، مستعينا بما ذكره القوم من ملامح تلك الروابط، ملفتا النظر إلى عدم دراستها بصورة مستقلة بحدود إطلاعي.

والزعم الذي يحركني هنا أن الحجاج يرتبط بالإقناع، ويرتبط بالتداولية أيضا، والإقناع بوصفه يرتبط بالتداولية كذلك، لكن هذا الارتباط لا ينفي ما يسمى بلسانيات الحجاج ، وما يسمى باللسانيات التداولية، وبقي الإقناع بدوره يُدرَس ضمن ما يسمى ببلاغة الخطاب الإقناعي، وهو ما درجت عليه أقلام السلف، فكتب فيه الدكتور محمد العمري كتابا بعنوان (بلاغة الخطاب الإقناعي)، وكتب فيه الدكتور حسن المودن كتابا بعنوان (في بلاغة الخطاب الإقناعي).

لذا عزم البحث والباحث على تبني ما يسمى بلسانيات الإقناع والدعوة إلى بيان مجالها، ونشأتها، ووظيفتها، وبناها اللسانية، ومقوماتها التواصلية، وميزاتها.

يؤسس الفصل الخامس لتداولية علم لغة الانترنت، عبر بيان مفهوم علم لغة الانترنت، ثم بعض المفهوم التداولي لهذه اللغة التواصلية في مواقع التواصل.

ويشتغل الفصل السادس على: الاستراتيجية التضامنية لدى الإمام الحسن عليه السلام دراسة في تداولية الخطاب. ويقوم على فرضية امتلاك الإمام الحسن عليه السلام فكرة التضامن مع المتلقي على وفق أدوات متنوعة بتنوع الخطاب للحفاظ على التواصل معه، كما تنوعت العناصر، التي تضامن معها بناء على الأغراض المتعددة، التي يروم إيصالها إلى المتلقي.

الداعي على هذه الدراسة أنَّ خطاب أهل البيت فيه من القيم اللسانية ما لا يُحصى، بدءًا بالسمات التعبيرية، والنحوية، والصرفية، والصوتية، وصولًا إلى البعد التداولي، ومراعاته في الخطاب؛ ليكون النص ممارسة خطابية، ومن تلك الخطابات خطاب الإمام الحسن، الحاوي على استراتيجيات جمة، منها التوجيهية، والإقناعية، والموقفية، والتعاونية، والسلطوية، واللسانية، والفكرية، وغير ذلك إلى أنْ نصل إلى التضامنية مع المتلقي.

عرفت بالاستراتيجية التضامنية، وجذورها في المنظومة اللسانية. ثم سلطت الضوء على عناصر التضامن. ودرست طرائق الاستراتيجية التضامنية.

الفصل الأول

علاقة التداولية بالتدريس

مسعى لتبني تداولية تعليمية

الأدلة على تبني تداولية تعليمية:

يوجد دافع لكتابة هذا البحث برؤيته القاصرة، والأدلة كثيرة التي أعانتنا على التوجه إلى تأسيس لهذا النوع من التداولية، منها: السعي إلى إبراز تداولية تعليمية، مواصفاتها مواصفات التداولية اللغوية، والذي شجعنا على هذا أن التداولية لم تنبثق من رحم اللغة مباشرة، بل ولدت في أحضان الفلاسفة، ثم حدث إمكانية تطبيقها في المجال اللغوي، ولعل هذا يسعفنا في إنشاء تداولية تعليمية.

وما ينصر هذا تعريف التداولية، وتعلقها بالاستعمال، والسياق الموقفي. ثم تقسيم الدكتور قصي العتابي التداولية على تداوليات عدة، سيأتي بيانها فيما بعد. والعامل المحفز الرابع: ارتباط التداولية بقوة مع المنطق، وبما أن المنطق لن يغيب عن العلوم كلها. ثم الوظيفة العامة للتداولية هي معالجة القيود التي تكون منها المواقف مقبولة، وممكنة أو مناسبة.

والدافع الأقوى على ذلك أننا نطبق الاتجاه التداولي من دون أن نَعْرِفَه، أو بتعبير آخر هو يسري فينا بلا شعور، يقول الدكتور سعيد إسماعيل بهذا الصدد: ((لكننا من ناحية أخرى نجد–في الحياة العملية– أن الجمهرة الكبرى من الناس تتبع–دون أن تدري–أصول البراجماتية...))[1] . فهي على هذا متوفرة على التعليم.

(١) فلسفات تربوية معاصرة: ٨٦.

المبحث الأول : مفهوم التداولية

من يروم التعرف على حدود التداولية يجدها كثيرة، كلا بحسب وجهة نظر القائل بها، فعند رائدها (شارلز موريس)Charles Morris: ((دراسة العلاقات بين العلامات ومفسريها، وبما أن كل مفسري العلامات كائنات حية، فمن الصواب القول إنها تهتم بعملية إنتاج اللغة، وبمنتجيها وليس فقط بالنتاج نفسه أي اللغة))[١] . وتطورت مفهوماتها فيما بعد- سنقف على تطورها لاحقا- حتى عرفوها: هي دراسة المعنى السياقي، أو دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال[٢] ، وهذا التعريف ينسجم مع طرح بحثنا أو هو الذي نتبناه، إذ أصبحت عملية إيصالية أكثر منها أن تكون لغوية أو دلالية، نعم هي دلالية أو متعلقة بالدلالة ولا تنفك عنها، لكن ليست دلالة المفردة، بل دلالة أوسع، وأشمل، متخذة من اللغة طريقا، وسبيلا؛ لتحقيق التواصل من أجل المعنى، والمعنى عندنا في هذا البحث هو (الدرس) أو مكوناته العلمية.

وسجل الدكتور مجيد الماشطة تعريفا آخر له،ا نقله عن فيرشورن Ferceron: ((تدرس التداولية كل شيء إنساني في العملية التواصلية، سواء كان نفسيا أو بايلوجيا أو اجتماعيا))[٣].

بعد تعريف التداولية، نعرج على جذورها عند جون أوستين John Austin، ولا يخفى أن البدايات الأولى لها منبثقة من الفلسفة التحليلية، وارتبطت بها قبل أن ترتبط باللغة، فبعد أن ميز الأمريكي (شارلز موريس) بين مكونات مثلثه المشهور، علم التركيب، والدلالة، والتداولية، ووضع حدود كل منهم، وقرَّ في مخيلته أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم، والخطاب، وظرفي المكان، والزمان(الآن، هنا)، والتعبيرات التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة[٤] .

تطور مفهوم التداولية على يد أوستين، بعدما لحظ إمكانية الحكم على الجمل من حيث الصدق، والكذب، لحظ جملا لا يمكن أن ينطبق عليها هذا الحكم، إذ لا تحتمل

---

(١) شظايا لسانية: ٨٧.
(٢) ينظر: التداولية (جورج يول): ١٩.
(٣) شظايا لسانية: ٨٧.
(٤) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٩.

الصدق والكذب، سمى الأولى(الوصفية)، وسمى الثانية(إنشائية)، يحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق، وكل جملة منها تحمل عملا لغويا على الأقل، مميزا بعدها بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، الأول سمَّاه: العمل القولي (اللفظ)، والثاني: المتضمن بالقول(العمل الذي يتحقق من قولنا)، والثالث: (التأثير).

فجملة: نظف أسنانك: قولي: هي الجملة، المتضمن بالقول: الأمر بتنظيف الأسنان، والجواب عليها: (لا أشعر بالنعاس)، القولي: الجملة، المتضمن بالقول: عدم الرغبة بالنوم، والتأثيري: الإقناع بعدم التنظيف؛ لأن النعاس لم يداعب عيونه[١] .

طور جون سيرل John Serial، مفهوم التداولية بعد وفاة مؤسسها أوستين عام ١٩٦٠م، على وفق نظرية المقاصد، والمواضعات، والتواضع اللغوي معناه الجمل المركبة، والمقاصد الأغراض[٢] .

تطورت التداولية فيما بعد بفضل هذين العالمين، وبناء عل اعتماد مقولاتهم، حينما جعلوها تتأثر بشروط استعمال اللغة، إذ أضيف إليها مبدأ الاقتضاء، الذي مفهومه: المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة، وليتضح مفهومه نعزز بالمثال التالي: (احترق فندق بغداد)، فقبل كل شيء يقتضي وجود فندق اسمه(فندق بغداد)، ثم يتم الحكم على صدق وكذب الجملة فيما بعد.

إلى هنا توصل آن روبول وجاك موشلار في كتابهما التداولية اليوم، إلى نتيجة مفادها ارتباط التداولية بالعلوم اللسانية، واقتصارها عليها، من دون الانفتاح على المعارف الأُخر[٣] . إلى هذا الحد أخذت تنمو أفكار (غرايس) Grice في التداولية عندما شدد في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى معرفتها لدى المخاطَب أي: القصد[٤] ، وكذلك بلور مبدأ التعاون.

وصولا إلى الثمانينيات من القرن المنصرم زاد (دان سبربر) Dan Sperber، و(ديردر ولسن) Deirdre Wilson ارتباط التداولية بخارج الإطار اللغوي، على وفق

---

(١) ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل : ٣١- ٣٢.
(٢) ينظر: : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٣٣- ٣٤.
(٣) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٤٩- ٥٠.
(٤) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل : ٥٣- وما بعدها.

الاستدلال التداولي((فهما يعتبران أن تأويل الأقوال يوافق نوعين مختلفين من العمليات الأول ترميزي لغوي، الثاني استدلالي وتداولي، وهكذا يتمثل أول وجوه الطرافة في مقاربتهما في إخراج التداولية من دائرة اللسانيات، التي تختزل وفق هذا المنظور في الشُّعب التقليدية كعلم الأصوات الوظيفي، وعلم التركيب، وعلم الدلالة))(١) . أي تأكيد الأخيرين على مبدأ الإفهام، والتفهيم في العملية الخطابية من طريق اللغة، والسياق لتحقيق مبدأ التفاعل(٢) ، الذي يعد الأساس في العملية التدريسية، لذا انطلاقا مما تبناه سبربر وولسن نؤمن بانفتاح التداولية على المعارف، والعلوم كلها، وهذا ما أنتج تداوليات متعددة تنبه عليها الدكتور قصي العتابي مترجم كتاب التداولية، لجورج يول، فقال: ((وقد شهدت التداولية نموا مطردا في العقود الثلاثة الأخيرة حتى اتسعت؛ لتشمل ميادين متنوعة، مثل التداولية الاجتماعية، علم اللغة التداولي، التداولية الأدبية، والتداولية التطبيقية))(٣) . ثم أذكرُ في السياق نفسه أن الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) تبنى تداولية سماها (البراجماتية الدينية) في كتابه (العقل والدين)، و(البراجماتية) و(إرادة الاعتقاد)، التي ذهب فيها إلى النفعية في الدين(٤) ، إذن ينطلق بحثنا لتبني تداولية جديدة(سماها التداولية التعليمية)، رافعا في الوقت نفسه صوتي لتأسيس تداولية عسكرية، وتداولية صناعية، وتداوليات أُخر بحسب الاختصاصات من باب أن لكل دائرة من هذه أعرافها، وخطاباتها، ولغتها، أو معجمها الفياض باصطلاحاتها، المتعارف عليها بين أهلها. لافتا النظر في الوقت نفسه إلى ضرورة توافر الشروط المختصة بالتداولية ولا سيما شرط المناسبة، الضروري خلقه في العملية التعليمية، الذي توضحه العبارة الآتية: (معلومات لا تنقص عما هو ضروري ولا تزيد عنه)(٥) .

---

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٧٠.
(٢) للاستزادة حول التفاعل، ينظر: التداولية جورج يول: ٩٧- ٩٨.
(٣) التداولية: يول، مقدمة المترجم: ١٤.
(٤) ينظر: براجماتية وليم جيمس الدينية: ٩٥- ١٠٧، بحث منشور في مجلة دراسات فلسفية.
(٥) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٨٢.

المبحث الثاني: المشغل التداولي التعليمي

آن الأوان لان أعرض أهم مقولات التداولية ليكون القارئ على استعداد لمزاولة أركان التداولية والتعليم:

الحجاج

معطى واضح الأبعاد الفلسفية، واللغوية، يوجه إلى متلق؛ لغرض إقناعه بخطاب ما، يقول الدكتور عبد النبي ذاكر – من جامعة اغادير في المغرب- : ((بل إن التواصل الإنساني جملة قائم على الحجاج، إلى حد أن المرء ليسلم بان لا تواصل من غير حجاج))[١] .

لعله ينبغي قبل الولوج في الحديث عن وظيفة الحجاج وعن كيفية حاجة الأستاذ في الدرس أو القاعة إليه، ينبغي علينا تعريفه؛ ليتضح مدى إنطباقه على العملية التعليمية، فقيل في تعريفه: ((مسعى يحاول به فرد أو جماعة اقناع مخاطب بتبني موقف ما، وذلك بالاستعانة بتمثيلات أو دعاوى – حجج- تهدف إلى البرهنة على صحة الموقف أو شرعيته، ويقوم على تدخل عدة عناصر: الذين ينتجونه، والذين يستقبلون، وعند الاقتضاء جمهور أو شهود، فهو إذن ظاهرة اجتماعية))[٢] .

في البدء كان مقصورا على المنطق، والاستدلال، وانصرف مفهومه عند بعض الناس نحو الجدل، والمغالطة، والتقبيح[٣] ، وعندما علت كفة التداولية في الدراسات الحديثة، أصبح الحجاج عنصرا كامنا في اللغة، يدرس منه دلالة التراكيب اللغوية؛ لأنه يمثل العناصر الأساس للغة التي تسهم في رفد النص، وتقويمه. وبما أننا انطلقنا إلى ارتباط التداولية بالعملية التعليمية، وجدت من الضروري توفر الإقناع للمتلقي (المتعلم) المتأتي من الحجج القوية القادرة على أداء وظيفتها كما قررها الدارسون((كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: ٧، مجلة عالم الفكر.
(٢) الاستدلال الحجاجي التداولي واليات اشتغاله: ٨٢، مجلة عالم الفكر.
(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حج)، وينظر: أساس البلاغة: ١/ ١٦٩.

اشباع مشاعره وفكره معا حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل))[١] ، ثم إن الفعالية الحجاجية فعالية خطابية في استعمالاتها الأولى[٢] ، فهي في غاية الاحتياج لها في الخطاب التعليمي، لان التعليم عملية تواصلية، فهي يقينا ذات محتوى حجاجي كبير، وأكبر نقاط الالتقاء بينهما، أن الحجاج يلقى من أجل تعديل الرأي، أو تغيير السلوك[٣] ، وهذه هي غاية التعليم، وكذلك في أركان الحجاج فهي ثلاثة، الباث، المتلقي، المرجع أو الموضوع، وهي بدورها تقابل، الأستاذ، الطالب، الدرس. أما مظاهره فكثيرة، شريطة أن يجعل الأستاذ الدرس في حاجة إلى حجج، وإقناع عندما يختار أسلوب تدريس بعيدا عن التلقين، فيخلق سياجا رصينا، يبحث فيه عن الحجج لإقناع المتعلمين، مثال ذلك إذا حاول الأستاذ تشخيص العيوب المنهجية لدى الكتاب المنهجي، فعليه إحضار الحجة، لإقناع متلقيه الطالب.

ومن نافلة القول إن الحجاج يظهر إذا خرج الأستاذ عن الإطار العلمي إلى الإطار الإرشادي، ونقد السلوكات المعينة لدى الطلبة، ولاسيما إذا تذكر أن الإرشاد جزء من مهمة الأستاذ، علاوة على الجهد العلمي.

ومن صور الخطاب الحجاجي في قاعة الدرس اللغة العالية التي يتكلمها الأستاذ إذ كلما اقتربت لغة الأستاذ من الإفهام اقترب الإقناع والتأثير، أي أن يتكلم الأستاذ بلغة فصيحة تقترب من مستوى الطلبة، فهي تحمل نبرة حجاجية عالية.

ومن المصاديق الحجاجية الأخر في العملية التعليمية، هي مقومات الحجاج كما وصفها الحجاجيون، وهي المتوفرة على أركان العملية الحجاجية الثلاثة، الباث، والمتلقي، والموضوع، فأول مقبولية حجج الباث قبوله العاطفي لدى المتلقي لحظة الخطاب، وتلقيه يقول ارسطو: ((ولابد للخطيب أن يتحلى بثلاث خصال؛ كيما يحدث الإقناع، لأنه بصرف النظر عن البراهين فان الأمور التي تؤدي إلى الاعتقاد ثلاثة. وهذه الخصال هي اللب، والفضيلة، والبر، لان الخطباء إنما يخطئون بينما يقولون وفي

(١) الاستدلال الحجاجي التداولي واليات اشتغاله: ٦٩، مجلة عالم الفكر.
(٢) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٦٩.
(٣) مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان: ١١، مجلة عالم الفكر.

النصيحة التي يسدونها إذا فقدوا هذه الخصال الثلاث كلها أو واحدة منها. فإنهم إذا فقدوا اللب، كانت ظنونهم فاسدة، وآراؤهم غيرَ سديدة، وإذا كانت آراؤهم صحيحة، فان شرارتهم تحملهم على إلا يقولوا ما يعتقدون، أو إذا كانوا ذوي لب وخير، فانه قد يعوزهم البر (حب الخير)، ومن هنا فقد يحدث ألا يسدوا خير النصائح، رغم أنهم يعرفونها. وهذه الخصال كل الخصال الضرورية، حتى إن الخطيب الذي يبدو أنه يملك هذه الخصال الثلاث سيقنع سامعيه لا محالة))[١] .

ولو وجدت هذه الشروط في الأستاذ؛ لتمت العملية التعليمية بأروع صورها، فكثيرا ما يحدث الفشل بسبب فقدان أحد هذه الشروط الثلاثة في الباث (الأستاذ)، وكثيرا ما نتذكر الأسماء اللامعة، التي تعلمنا على أيديها، وتميزت بميزات النجاح. وهذا ما سأقف عليه في مبحث الكفاءة، وبصورها كافة.

وثاني خطى الأسلوب الحجاجي الناجح فيما يتعلق بالمتلقي، إذ ينبغي التزود بكفاية ثقافية، وسيكولوجية، وهذا وإن لم يستحصل لدى جميع الطلبة، إلا أنه لا يشكل قتلا لطموحات الأستاذ، وأداء رسالته، ولو لواحد من الطلبة إذا توفرت فيه الأبعاد .

أما حجاجية الجزء الثالث من العملية التواصلية المتمثلة بالموضوع، فلها مظاهر عدة، منها: عتبة الدرس، إذ ينبغي على الأستاذ أن يستهل الدرس بعنوان أساسس، يتضمن اسم المادة مثلا، الجغرافيا، ثم عنوان الموضوع كأن تكون (الموارد البشرية)، وعليه كتابة العنوان بخط، واضح، وكبير، ويا حبذا لو كان بلون آخر غير لون القلم، الذي كتب فيه العنوان الأول.

تمثل هذه الخطوة إشعال جذوة التواصل الحجاجية بين الطرفين، ومن ذلك أيضا استذكار صورة المقارنة بين الشبيهين أو الشاهد التاريخي، وهما من أهم مظاهر الحجاج الموضوعي[٢] ، أي يقارن الأستاذ طلبته في السنة الدراسية الجارية بالطلبة في

---

(١) الخطابة لارسطو: ١٠٣.
(٢) ينظر: مدخل إلى الحجاج: ٣١٠.

العام الماضي من جهة الرسوب، والنجاح، لعل هذا يسهم في تفعيل المشاعر، وإثارة العواطف، وشدهم نحو الدرس.

ومن الدعائم الحجاجية الأُخر، الاستهلال، وبراعته، إذ لا يخلو الاستهلال من بعد حجاجي، فهناك علاقة بين العبارة التي يبدأ بها النص، والحجاج، والإقناع[١] .

يجب أن يستهل الدرس بعبارة مثيرة جذابة بعيدة عن التكرار، فإذا كررت العبارة يتخذها الطلبة مقولة للسخرية والاستهزاء، ومن الطريف أن الدكتور طه حسين يكرر العبارة نفسها كل مرة(قلنا في المحاضرة الماضية)، فذات يوم دخل القاعة، وقبل أن يستهل الدرس بعبارته المشهورة، فإذا به يسمع الطلبة يهمسون بتلك العبارة، فتبسم وقال: (سمعتم في الدرس الماضي).

ويفضَّل أن يستهل الدرس بعبارة شفافة ذات إثارة، وجمال بعد ذلك يتحتم موقف حجاجي جديد ألا وهو الافتتاح، فأهميته لا تخفى في الدرس الحجاجي إذ حددت وظائفه[٢] :

١- إثارة انتباه المتلقي.

٢- تهيئته لأجل الإفادة.

٣- استمالته.

في حال تنعكس هذه الافتتاحية الحجاجية على الافتتاحية في المحاضرة، فعلى الأستاذ أن يتنبه على هذه الوظائف الثلاث، ويعمل على تحقيقها منذ الافتتاحية، ولو رجع قليلا إلى الدرس الماضي، ولخصه باختصار لمدة ثلاث دقائق؛ لشد انتباه الطلبة، وخلق التواصل، والربط بين الدرسين.

وآخر الخطوات الحجاجية التي نتوقف عندها فيما يتعلق بالمتن الحجاجي، فيأتي بعد الاستهلال، والافتتاح العرض الحجاجي، أي كيفية عرض النص المتفق عليه أن يعرض بلغة سليمة جذابة، ثم يأخذ الانتقاء دوره في اختيار الأمثلة المستساغة،

---

(١) ينظر: آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج: ٤٤، مجلة عالم الفكر.

(٢) ينظر: آليات الحجاج: ٤٥.

المأخوذة من رحم الواقع، البعيدة عن التكرار، وهذا ما يسهم في التعليم إسهاما كبيرا، تكلم عليه اللسانيون وعلى أثره في كسب المهارات التعليمية، فقد سمَّاه الدكتور سمير استيتية بـ(الانتقاء المبرمج)، أي عزل مادة التعلم عما سواها، بحيث لا يختلط بها غيرها[١] ، ويشكل الحوار أساً مهما في عرض المادة بين الأستاذ، والطالب، وللحوار صور عدة في قاعة الدرس، بدءا من اختيار المفردات إلى تحديد المادة الامتحانية، مرورا بتشخيص العيوب في طريقة الدرس.

ينطلق في الحجاج موضوع سمي(بالسلم الحجاجي)، وعدوه آلية من آلياته، مفهومه: عدة قولات أو أكثر من مقولة واحدة، مرتبطة بموضوع واحد، لكنها تختلف في قوة وضعف الحجة أو المعنى، مؤدية إلى نتيجة واحدة[٢].

استعمل القرآن ذلك على لسان إبراهيم في إقناع النمرود: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[٣] ، إذ الحجج على وفق الآتي:

١- يحيي.

٢- ويميت.

٣- يأت بالشمس من المشرق.

وجدت سُلَّمية في الحجج[٤] ، لو طبقنا هذا المفهوم على العملية التعليمية لانبرى لنا بوضوح مصداقه، ومنه في القاعدة النحوية على سبيل الفرض في النحو العربي:

الفاعل مرفوع دائما هذه القاعدة / ذهب زيد.

الفاعل منصوب شذوذا/ خرق الثوبُ المسمارَ.

النتيجة أن الفاعل مرفوع بحسب القاعدة.

---

(١) ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ٤٢٣.
(٢) ينظر: الاستدلال الحجاجي: ٩٣.
(٣) البقرة: ٢٥٨.
(٤) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي:٩٦.

التفاعل:

سيجري الحديث عن إيقونة التفاعل، وأهم شروط إنجاح الخطاب أو ماسمي بقوانين الخطاب عند التداوليين، وسأتناول في ذلك ما طرحه سيرل، وكرايس.

طرح سيرل شروط إنجاح الخطاب، وجعلها ثلاثة، وهي(١) :

١-شروط تحضيرية: وتقوم على امتلاك الأهلية إذ لا يمكن، أن يقوم رائد في الجيش، ويأمر عقيدا، وكذا الأمر في العملية التدريسية تتم بوجود التدريسي المؤهل لإدارة القاعة، وقد نبهت كثيرا على هذه المسألة، من باب أن سياق الكلام، والأهلية يتضافران غاية التضافر؛ لجعل الكلام فعالا.

٢-شروط الصدق: وتتلخص في أنه لا يقول المتكلم إلا ما يؤمن به، ولو قارنا هذه النقطة بالتدريسي، لبان أنها في قمة الضرورة لديه، فكلما كان محبا، شغوفا بدرسه كان منجزه أفضل، وهذا ما سمي بالتجربة الشعورية الصادقة في حال الإنتاج.

٣-الشروط الجوهرية: لخصها الدارسون بصدق المقاصد، والنوايا، أي أن لا يقول المتكلم ما يناقض معتقداته، ورغباته، كأن يقول التدريسي مثلا: على الطلبة حفظ معلقة أمريء القيس وجوبا، في الوقت أنه غير مقتنع بشعره أو أنه ليس حافظا لها.

وتناول كرايس مبدأ التعاون، وعده من أهم شروط المحادثة، ومبدأ التعاون في الأصل مطور عن_ الظروف، التي نادت بها التداولية وهي ظروف اللباقة، التي يتقبلها الناس تلقائيا في التواصل، طور غرايس فيما بعد هذا إلى ما سماه (مبدأ التعاون)، وله أربعة قوانين هي(٢) :

١- قانون الكم: يفترض المساهمة بما لا يكون زائدا على المقام.

٢- قانون النوع (الكيف): الابتعاد عن الكذب، وامتلاك الدليل المقنع.

٣- قانون العلاقة: الدوران في دائرة واحدة بين المتخاطبين.

٤- قانون الطريقة: الانتظامية، والوضوح في التعبير.

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص: ١٤٠.

(٢) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٥- ٥٦.

وإذا انعطف الأمر على التعليم هل بالإمكان أن نعثر على هذا المبادئ الأربعة ؟ نعم، وبجدارة، فهي على وفق الآتي:

الأول– إذا سأل التلميذ، أو الطالب الأستاذَ سؤالا معينا، ينبغي على الأستاذ مراعاة مبدأ الكم في الإجابة.

الثاني– وإذا أعطى إجابة غير صحيحة، بغية دفع شك الطلبة، ودفع الاستهانة به ولا سيما عند بعضهم قد يحدث هذا، فيكون قد تجاوز مبدأ النوع بإجابته.

الثالث– إذا حاول البقاء في دائرة الموضوع والإجابة عليه، فقد تحقق قانون العلاقة، والتعثر في إجابته، والابتعاد عن الموضوع قليلا قد يخرق هذا القانون.

الرابع– إذا انتظم الجواب، بطرائق هادئة، حضر قانون الطريقة، وإذا افتقد الدقة، والمنطقية في ذلك، فقدَ هذا القانون.

والأمر نفسه لو عدنا به إلى الطالب، إن شاء أصبح تداوليا، وإن شاء لم يكن على وفق تطبيق القوانين الأربعة.

الافتراض المسبق

ارتبط بتحليل الموقف التداولي عدد من المسائل، منها الافتراض المسبق، ومفهومه ((شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام))[١] . أي المتكلم قبل إبداء نصه يأخذ بالحسبان هيكليات عدة، منها إعداد العدة اللغوية، والخارج اللغوية، وتنطبق الصورة على التعليم، فكثيرا ما يقوم الأستاذ بافتراضات مسبقة، منها تماشيا مع نوايانا القراءة، والاستعداد للدرس، فضلا عن تحديد الوقت الكافي، والمادة الكافية قياسا بذلك الوقت المحدد، وكيفية الطريقة التي تقدم في ضوئها المادة العلمية، أو وضع بعض الخطط منها الاستعانة بالمختبر أو السفرة الميدانية.

---

(١) التداولية،(يول): ٥١.

يحتم علينا هذا الفهم للافتراض المسبق في التعليم، القول إن الافتراض المسبق يجري خارج إطار الخطاب أو النص، عكس الاستلزام، الذي يجري في الكلام، أي داخل النص وهو الذي يفرضه، وقد عرفوه: ((فهو شيء يتبع منطقيا مما قيل في الكلام أي إن الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون))[١]، فكلما كانت الافتراضات المسبقة دقيقة، كانت الاستلزامات أيضا دقيقة في النص أو الإطار التعليمي؛ إذ يترتب على عملية الاستلزام الفهم، والتدبر.

ومن تلك الافتراضات المسبقة في التعليم- لتكتمل الصورة لديك- ما يشترك فيه المعلم والمتعلم أو يتوقف على صحة الافتراض المسبق إثبات المعلومة لدى ذهن الطالب.

فإذا قلنا يجوز تقديم الفاعل في العربية ينبغي أن نفترض مسبقا أن الطالب لديه تصور أن الفاعل مؤخر عن الفعل، ثم يجوز تقديمه.

سمي هذا الافتراض المسبق بالواقعي، يقابله آخر غير واقعي[٢]، أي على التدريسي أن لا يفترض افتراضات غير واقعية، فعلى سبيل المثال أستاذ مادة الجغرافيا يقول: (تحرك الجبال في شمال العراق يؤدي إلى خسارة من نوع خاص)، فالافتراض المسبق الذي يؤمن به الطالب بعد ما يتحراه في مخيلته، هو حركة الجبال، فهذا يؤدي إلى عدم الإصابة، لان الافتراض غير واقعي، وغير موجود، إذا لم يصح الافتراض يبتعد التواصل بين المتكلم، والسامع.

وإن كان ميل المختصين بالعلوم التربوية والنفسية إلى هذا النوع من الافتراض أي غير الواقعي بحجة تحفيز الطالب على رد المزاعم، والابتكار.

---

(١) التداولية: ٥١.
(٢) ينظر: التداولية: ٥٧.

الكفاءة التداولية:

قبل أن نتحرى مفهوم الكفاءة التداولية، لا بأس بان تعرف الكفاءة من حيث مفهومها العام، فالكفاية في صحف المعجمات مصدر الفعل(كفى) إذ قال الخليل(ت:١٧٥هـ): ((كفى يكفي كفاية، إذا قام بالأمر، واستكفيته أمرا، فكفانيه))[١] .

يلحظ على المعنى روح المهارة، أو القدرة على المواجهة والتحدي، فضلا عن الإدارة المنظمة في القيام بأداء أمر معين[٢] ، وقيل في مفهومها في الإطار الألسني: هي القدرة على إنتاج الجمل، والقابلية على إفهامها، في عملية التكلم[٣] ، وينتج ذلك جراء الإلمام، والمعرفة بالقواعد اللغوية بأنواعها. والكفاية اللغوية من مبتكرات جومسكي، وعندما لمس عدم قدرتها على إدارة كفة الخطاب، وجد (هايمز) Himis أن علم اللغة ينبغي له أن يقتني الكفاية الاتصالية، وعناها: قدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية لا جمل نحوية[٤] .

وعودة على سياقنا التعليمي بغية تحقيق الاتصال، لو كان الأستاذ منشغلا بالتدريس ولحظ أحد الطلبة غير متصل معه، فعليه إيقاظ التواصل، وإعمال كفايته الاتصالية، كأن يقوم بحركة معينة، وهذا ما ينصح به أهل طرائق التدريس، أو يبادر إلى سؤاله بلغة شفافة مع الاعتذار منه أو إسماعه لفظة طيبة.

أما الكفاية الأخرى التي ينبغي على الأستاذ أن يمارسها فهي كفايته بأنواع الخطاب الأُخر المتعددة، وقد سماها الدكتور أحمد المتوكل(الملكات)، وقسمها على ملكة لغوية، ومنطقية، أي إطلاعه على قواعد المنطق، وملكات معرفية، تساعده في فهم العبارات اللغوية، وتأويلها، والملكة الإدراكية تعينه على إدراك محيطه الثقافي، فضلا عن الملكة الاجتماعية[٥] .

فالأستاذ باستثماره تلك الملكات يحقق كفاءة تداولية كبرى يفيد منها في إنجاز هدفه.

---

(١) كتاب العين، (كفى): ٥ / ٤١٣.
(٢) ينظر: الكفاية اللغوية في كتاب سيبويه: ٣، بحث منشور في مجلة أوروك جامعة المثنى.
(٣) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: ٧.
(٤) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٤٩.
(٥) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ١٧.

إذ تسهم ثقافة الأستاذ بشكل فعال في السيطرة على القاعة الدراسية ولا سيما في الدراسة الجامعية، حينما يتوفر طالب ذو إطلاع غزير، ثم إنه يستلزم أن يتعدد طور الأستاذ، ويتنوع خطابه من توجيهي إلى ديني إلى سياسي إلى علمي الذي يفترض تنوعه، فعليه أن لا يكتفي بشرح ابن عقيل عند تدريسه النحو مثلا، بل الرجوع إلى كتاب قديم مع آخر حديث، أي شرح الأشموني، والنحو الوافي في أقل تقدير.

يتضح مدى أهمية كفاية التربوي، بحيث أجمع التربويون العرب على أن التعليم مهنة ينبغي لمن يزاولها أن يتمتع بكفاية خاصة تميزه عن غيره من أفراد المهن الأخرى، والسبيل إلى توفير هذه الكفاية يتم بإعداده إعدادا، مناسبا في مؤسسات تربوية، حتى يفرز هذا الإعداد مدرسين، مؤهلين، واعين لأهمية مهنتهم؛ مما يكفل لهم القدرة على القيام بواجبات المهنة على الوجه الأمثل، ليكونوا في المستقبل سببا من أسباب تحقيق المدرسة لأهدافها بدلا من أن يكونوا معوقين لتحقيق هذه الأهداف(١) .

ومن الكفاءات التي التُزِمت في العصر الحديث، وأصبحت مقياسا لتقدم الدرس، ونجاحه لدى بعض الأفراد، هي توظيف وسائل الاتصال الحديثة في قاعة الدرس، الحاسوب، أو الداتو شو، وغير ذلك، فيستعملها الأستاذ شريطة أن تكون وسيلة مساعدة، وليس رئيسة في أداء الدرس.

وما يرتبط بمجال الكفاءة التداولية، اختيار المادة المفيدة لرحم الواقع، القائم على الخبرة في التعليم، في حال التزمنا ترجمة البراجماتية إلى النفعية، سنقر مبدأ الخبرة في التعليم، إذ ما نتعلمه ينبغي أن يتلائم مع روح العصر والواقع بعيدا عن المثالية، والتجريد، وأظن هذا ينطبق على كل العلوم بلا استثناء في حال جعلها المعلم من صميم الواقع إذ يقول أحد الباحثين بهذا الصدد : ((إن رفض مدارسنا أن تكون أماكن للحياة إنما هو بمنزلة انتحار أخلاقي للمجتمع الذي نعيش فيه. إننا نساعد بهذا على قيام العملية التربوية على أسس علمية صحيحة، اذ يخبرنا علماء النفس بالتعلم يستند إلى مبدأين مهمين:

---

(١) فلسفات تربوية معاصرة: ١٠٥.

أولا– إن ما نتعلمه يجب أن نمارسه.
ثانيا– أننا لا نتعلم كل شيء نمارسه، فنحن نتعلم فقط الشيء الذي ننجح في أدائه))[1].

القوة الإنجازية:

تعد المقولة الإنجازية هي الباكورة الأولى التي تطورت منها الأفعال الكلامية وهذه أهم نتيجة توصل إليها الدكتور علي حجي الصراف في كتابه(في البراجماتية الأفعال الإنجازية) إذ يقول: ((مثلت نظرية الأفعال الكلامية التي طرحها العالم جون سيرل مرحلة نضوج مفهوم الانجاز الذي بدا جون سيرل *بطرحه*...))[2] ، فالإنجازية في هذه الحال جزء من نظرية أفعال الكلام، بل متمم لها، ويمكن القول إنها المحور الأهم فيها، وقد طرح جون سيرل حين بدأ بتعريف الفعل الكلامي في فتوة نظريته، أن يسمي الفعل الكلامي بـ(الفعل الإنجازي)[3] ، ومعنى الفعل الإنجازي: المعنى المنجز في الجملة أو الغرض المعبر عنه من طريق النطق المباشر أو غير المباشر[4] .

أما عن مظاهر القوة الإنجازية في التدريس، وقبل إيراد ذلك، أورد اعتراف أهلها بان من أهم آلياتها هو السؤال، والأوامر إذ يقول الدكتور محمد العبد: ((بالفعل الكلامي الإنجازي نؤدي أفعالا لغوية كالإخبار، وتوجيه الأسئلة، وإعطاء الأوامر، وعمل الوعود، والاعتذارات))[5] ، كل ذلك له مصاديق في القاعة الدراسية، إذ كثيرا ما يخبر الأستاذ طلبته عن حقائق علمية، وغير علمية أحيانا، اما توجيه السؤالات فهي الأكثر حضورا في القاعة، وكذلك الوعود .

الجدير بالذكر أن السؤالات، والأجوبة هي من أهم مقولات القوة الإنجازية، إذ قد يتفنن الأستاذ بطرح سؤال، فيؤدى بطرق متعددة تحمل (محتوى قضوي واحد)، نحو:

---

(١) الكفايات التدريسية اللازمة لمدرسات التربية الأسرية في المرحلة الثانوية: ٤.
(٢) في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٤١٠.
(٣) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٣١٢.
(٤) ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية: ٢٤.
(٥) تعديل القوة الأنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن : التداوليات علم استعمال اللغة: ٣١٢.

متى بدأت نشأة النحو ؟

فيعرض للآتي:

- لو عرفتموني ببداية نشأة النحو؟
- ألا تعرفون بداية نشأة النحو؟
- من يحدد لي بداية نشأة النحو؟
- هل يستطيع أحدكم تحديد نشأة النحو؟

القوة الإنجازية واحدة، والمحتوى القضوي واحد، هو (تحديد بداية نشأة النحو) إلا أن الطرق الأدائية كثيرة، هذا له أثر في إثراء الطريقة التي يؤدى بها الدرس أو السؤال، ثم يبعد السامة والملل من المتلقي (الطالب).

واعتنى أوستن بمبحث سمَّاه(علامات القوة الإنجازية)، أجمله الدكتور محمد العبد بأن جعلها ستا هي[1] :

الصيغة: يستعملها الأستاذ بغزارة في درسه، مثلا قوله: وضح،(فعّل)، اشرح (افعل)، اكتب على اللوحة، أو بتعبير آخر صيغ فعل الأمر، ليبين أحدكم معنى الآية أو البيت أو الفقرة وهكذا، والعلامة الثانية: نغمة الصوت وهي بائنة بوضوح في القاعة، إذ التنغيم مبحث أصيل في تعاملنا اليومي أو الفصيح، وتقوم في قاعة الدرس نغمات كثيرة، نغمة التحذير، تختلف عن النغمة التي يطرح فيها السؤال، وعن النغمة التي لا يرضى بها الأستاذ على رأي معين أو على سلوك حدث في قاعة الدرس، وكذلك عرض المادة العلمية بصوت منخفض وعند بلوغ رأي مهم، يتوجب تغيير النغمة، وعلو الصوت.

الثالثة أدوات الربط الشكلية، ومصاديقها(من أجل ذلك، هكذا، تأسيسا على،الخ....). أما الرابعة فيراها الباحث في غاية الأهمية هي ما يصحب المنطوق من الإشارات،

(١) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٢٩٧.

والحركات، باليد، والأصابع، والحواس الأُخر، والدوران في القاعة، والقيام من المنصة أو الجلوس عليها، أو التأشير على اللوحة، وغيرها...

بقيت لنا علامتان، الخامسة منهما ملابسات المنطوق، فيقول عنها الدكتور محمد العبد: ((وهي تساعد مساعدة مهمة للغاية في تحديد الغرض فالأمر يمكن أن يكون أمرا، أو أذنا، أو عرضا، أو التماسا، أو توسلا، أو اقتراحا، أو توصية، أو تحذيرا...الخ))[1] . والسادسة والأخيرة (أشباه الجمل)، ومصداقها أو أحد مصاديقها تكييف النهي بالظرف مثلا(لا تنسوا تحضيركم أبدا)، (لا تتركوا القراءة نهائيا، وهكذا.

وثمة أمر يرتبط بحيثياته مع القوة الإنجازية، وهو نسبة تلك القوة الإنجازية، أي القوة والضعف في التعبير عن الغرض الإنجازي[2] ، وتفسيره: مدى الزام تحقيق الأمر، وهذا يتمثل فيها القوة في التعبير، اما التخيير فينطبق على الضعف، وهي كثيرة في القاعة، ومنها إذا قارنا قول الأستاذ لطلبته يجب أن يقرأ الموضوع في كتابنا المقرر، ويستلزم ذلك، فلا بأس بان تقرأ المادة في مصدرين خارجيين للإطلاع، والتقوية، الأمر الأول فيه شدة إلزام وجوب، أما الآخر فهو الإباحة من أجل التعضيد، والمؤازرة للقراءة، ولا إلزام فيه.

وما ينضم إلى زاوية القوة الإنجازية تعديل تلك القوى، أي تعديل المتكلم لمنطوقة من أجل إيصال دلالاته، وتكييفه لمقصده في السياق الاتصالي[3] ، وهذا ما يحدث فعلا في الدرس ولا سيما عندما يزل الأستاذ بقدمه، ويفقد الدقة في شرحه لبعض المسائل، فيضطر إلى تعديل خطابه، أو يحرفه. أو مراعاة المتلقي ولا سيما أنه حين يتكلم بلغة عالية، ومستوى عال، يفوق قدرات الطلبة؛ لأن الأستاذ في موقفه الاتصالي مع طلبته في رأسه هدف، فإذا تعالى في استراتيجيته يبتعد عن إصابة ذلك الهدف.

وقد أرسى دعائم هذه النقطة الضرورية العالم العربي اًبن خلدون(ت: ٨٠٨هـ) في مقدمته إذ قال: ((اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج

---

(١) النص والخطاب والاتصال: ٢٩٧.

(٢) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٢٩٩.

(٣) ينظر: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات علم استعمال اللغة: ٣٢٢.

شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، ... ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن...))[١] .

يتصل بتعديل القوى الإنجازية ما يسمى(تلطيف الخطاب)، حين يستعمله المتكلم لتخفيف قوة الفعل الكلامي أو إضعافها، حين يبدو المنطوق غير مرغوب به عند المستمع[٢] ، وهذا التلطيف الخطابي له صدى في العملية التعليمية، بخاصة عندما يطرح الأستاذ مادة علمية تبدو غرابتها على الطالب، وبتحليله الموقف الخطابي– الأستاذ– يتطلع إلى مقبولية الطلبة له، فإن اطمأن فبها، وإن انقدح في ذهنه عدم الاستيعاب عليه أن يضطر إلى تعديل خطابه، وتلطيفه بعبارات تقلل من البعد الذي اتضح صعوبته، ومثال ذلك عند طرح مسألة من مسائل الخلاف النحوي، كما في مجرى القول مجرى الظن، فبعضهم جعله بشروط، وبعضهم الآخر–الكوفيون– بلا قيد أو شرط[٣] ، فإذا شعر بتذمر الطالب عليه أن يعقب، ما هذا التوتر، ما هذا العنف على اللغة، وإخضاعها للشروط، فيفهم الطالب حينها ميول الأستاذ أو ترشيحه للرأي الثاني. إذن تعديل القوة الإنجازية وتلطيفها يسهم في ترجيح كفة الإفهام وتحقيق التواصل في القاعة.

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ١٢٣٣/٤- ١٢٣٤، و: أئمة الفكر التربوي الإسلامي : ١٦٢- ١٦٣

(٢) ينظر: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، محمد العبد، منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال الخطاب: ٣٢٤.

(٣) ينظر: شرح ٱبن عقيل على ألفية ٱبن مالك: ٢/ ٥٨- ٦٢.

الفصل الثاني

التأويل التداولي

المفهوم والتكوين والتجليات

ديباجة

ثمة فرضية أساسية تغطي على فرضيات داخلية في هذا المسار التأويلي، تلك الفرضية الأساسية تنطلق من طرح سؤال مفاده كيف يتسنى للمخاطَب التوصل إلى معنى المتكلم في النص عبر البنية اللسانية ضمن المضمار التداولي؟ فينتج ما يسمى بالتأويل التداولي، الذي أهدفُ إلى رسم حدوده، ومدى علاقته، وانطلاقه من مفهوم التأويل الخاص بقراءات النص المتعددة، وأركانه، وشروطه التي ينطلق منها، ثم مواضع الافتراق، والالتقاء بينهما.

مازال مفهوم التأويل التداولي غير واضح، فقررت أنْ أكتب فيه، وأُخرج ما يتعلق به من بين سطور التداوليين في مظانهم، والذي شجع على ذلك إشاراتهم إليه، وتوقف فهم النص التداولي عليه، وعدم الإلمام به من لدن الدارسين.

تلك الفرضية، وتلك الأهداف من البحث ألجأتنا إلى خطة واضحة تتكون من ثلاثة مباحث، تدور في فلَك الخطاب اللساني الحديث، وإذا دعت الحاجة رجعت إلى الخطاب اللساني العربي القديم. فكان المبحث الأول: التأويل التداولي بناء المفهوم والماهية. والثاني: التأويل التداولي التكوين والإرهاصات. والثالث: تجليات التأويل التداولي.

بما أنَّ البحث في إحدى مقولات التداولية كان من المفترض التعريج على مفهومها ومما أبعد ذلك اتضاحه في الباحة العلمية في الدراسات العربية، وكثرة الترجمات أرغمنا على الاكتفاء بتلخيص لها، فإذا أردت تلخيصه، فإنَّها تكون البنية الصُّورية (اللغوية) التي تحمل القصد في سياق معين، فيحاول المتكلم إيصال مقاصده إلى المتلقي عبر البنى اللغوية مع مراعاة ظروف الاستعمال.

ويرمى الحجر في هذه الحالة في ماء المتلقي، فيأخذ بعناق النص بإشغال الذهن للتحري عن المعنى من جرَّاء التفكير السليم الذي يوائم تلك البنى، وإبعاد المعاني غير الدقيقة، وهذه العملية هي التأويل التداولي الذي لا يتوافر على كل حيثيات التداولية، بل على بعض منها، فقد لا يوجد في الأفعال الإنجازية المباشرة. وسنراه في مقولاتها الأخرى.

المبحث الأول: التأويل التداولي بناء المفهوم والماهية

يعالج هذا المبحث ماهية التأويل التداولي من جهة مفهومه، وشروطه، والبغية منه، وقبل ذلك رغبت أنْ أقف على مفهوم التأويل ووظيفته؛ ليتسنى لي المقارنة بينهما. وقبل هذين المهمتين أود التركيز على العلاقة بين التداولية والتأويل. وهذا التحري يصطدم بإشكالية بدهية تتلخص بأنَّ التداولية تقوم على الوضوح والإيجاز، وإيصال المعنى بأخصر الطرق، وأبسطها للمتلقي، وهذا ما عرف في المسار التداولي، إلا أنَّ المفارقة تكمن في أنَّ كثيرًا من المعاني لا يمكن التماسها إلا بإشغال التأويل الذي يقوم على المعنى البعيد وهذا ما يؤسس لما يسمى (التأويل التداولي) الذي نبحث عن عَلاقته بالتداولية، التي تتضح من تعريفها على يد الجيلالي دلاش: ((تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم، وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات، والأحاديث))[(١)] .

فضلًا عن ذلك تقوم التداولية على الاستنتاج بالدرجة الأولى و((إنَّ استنتاج المستمع هو فعل تأويل لكنه يعلم بمعنى أنَّ المتكلم يقصد بعض التأثير المعين، وبأنَّ المتكلم يريد عمل فعل كلام، ويريد من المستمع أنْ يدرك ما هو فعل الكلام هذا))[(٢)] . وقد أكد هذه العَلاقة الدكتور نبيل أيوب ((وكمستوى لساني أفقي تركز البراغماتية اهتمامها على مبادئ تحكم تأويل العلامات ليس استنادًا إلى المعجم، والتركيب، والدلالة التعيينية، إنَّما على سياق القول وظروفه مستعينة في التفسير بما هو من غير جنس اللغة))[(٣)] .

والأوضح من ذلك تنطلق التداولية في البحث الألسني من الأسئلة الآتية: مَن يتكلم وإلى مَن يتكلم؟ ماذا نقول حين نتكلم؟ كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟ والسؤال الأخير لا يمكن الإجابة عنه في الملفوظات المجازية، واللاحنة، والشاذة، والقصد المخفي إلا بالاستعانة بآلية التأويل عبر الاستدلال.

---

(١) التداولية والبلاغة العربية (باديس الهويمل)، بحث في مجلة المخبر العدد:٧، ٢٠١١م: ١٥٨.
(٢) التداولية والسرد: ٧٠.
(٣) النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات: ٢٣٩.

لم تتسم كلمة التأويل بالثبات، والوضوح في مفهومها على الرغم من طول المدة على ميلادها، ونشأتها، فيحتمل أنَّها تبدأ مع بدء التفكير العلمي، ومع إنطلاق القرآن الكريم، نمت، ثم تدخلت علوم عدة في بيان معناها نحو: الفقه، واللغة، والتصوف، والفلسفة، والنحو، وتقاذفت تلك العلوم فيما بينها. ولا يعد هذا الواقع ضعفًا، بل قوة لتلك الكلمة. وبذا أصبح في المكتبة الغربية والعربية كم كبير من الكتب، التي تناولتها بوصفها منظومة، لها أصول، وامتدادات، وتطبيقات، وحدود. وهنا لا أريد أنْ أقدم قراءة تاريخية وإنَّما البحث عن مفهوم كلي للتأويل ينطبق على قيم التواصل في النص أو القول؛ ليتحقق القصد المنطوي وراء العالم، والمجتمع الذي يقف عنده المتلقي؛ ليسبر أغوار النص بعدما ينفي الاحتمالات الواردة فيه؛ ليحدث الفهم أو التأويل اللذين يرى غادامير زوال الفرق بينهما[(١)] ، ويعد الفهم دعامة، وأساسا له[(٢)] .

دلَّت الكلمة في اللغة على الرجوع، والجمع، والتفسير، والبيان، والسياسة، وتفسير الحُلم، وغيرها[(٣)] . وقد كثرت تعريفاتها، واتفق القدماء، والمحدثون على أنَّها ((حمل الكلام على غير معناه الموضوع له))[(٤)] . وينطلق هذا الاتجاه في تعريف التأويل من مخالفة الظاهر، يقابله اتجاه ينطلق من مساواته مع التفسير يقول ابن تيمية ت٧٢٨هـ: ((وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان: أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا))[(٥)] . وأشار إلى هذه الفكرة أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ لمَّا قارب بين التفسير، والتأويل، والمعنى[(٦)] ، وهنالك نظر في هذا التساوق إذ ((إنَّ التأويل تفاعل معرفي بين بنية ذهنية، وبنية

---

(١) ينظر: هرمنيوطيقا القرآن (عبد العالي العبدوني) : ٢٤.
(٢) ينظر: فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف (غادامير): ٦١.
(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني): ٩٩، أول، و: تأويل النص عند الصوفية فصوص الحِكَم لابن عربي أنموذجا (علي سميسم): ٢٢-٢٣.
(٤) تفسير القرآن الكريم (صدر المتألهين): ٥/ ١٥٠. ويقارن: اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب الى المكبوت(د. محمد عزام): ٢٣.
(٥) التفسير الكبير: ٢/ ١٠٨.
(٦) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ٣١٢.

نصية، وبنية سياقية مؤطرة لهما، وبنية من النصوص الغائبة والعلوم المرجعية، ولذلك فإنَّه يحتوي التفسير باعتباره نظرًا في الظواهر))[1] .

هذه الجدلية بين التفسير والتأويل أزلية، ولن تنتهي، بل لن نتخلص منها في التأويل التداولي، إذ يوازي مصطلحَ التأويل التداولي مصطلحُ التفسير التداولي، لولا وجود إشكالية وهي أنَّ التفسير بالمفردة، والتأويل في النص((وإذا كان التفسير يتم في الكلمة المفردة ودلالاتها في السياق، فإنَّ التأويل يتم في التركيب اللغوي وفي النص))[2] . يعزز هذا أنَّ آليات المفسر لغوية أي الارتكاز على الصوت، والصرف، والمعجم، والنحو، أما ((آليات المؤول توظف دون شك آليات المفسر في مرحلة أولى، لكنها تتجاوزها إلى آليات أخرى استنباطية أو استدلالية، ومعرفية موسوعية، وبلاغية تداولية))[3] .

ويمكن تنميط التأويل إلى أنماط: فمنه

١- النمط الديني في النصوص المقدسة.
٢- الأدبي (النقدي)، ويضم تأويل النصوص الأدبية نحو: القصيدة أو غيرها. ويكون هنا على أنواع: التأويل السيميائي، والأسطوري، والاجتماعي، واللغوي، والنفسي، والتاريخي وغير ذلك.
٣- التأويل غير الأدبي، نحو تأويل النصوص القانونية، والسياسية وغير ذلك.
٤- التأويل التداولي الخاص بالمحادثة.

وصرح أوستين في كتابه بكلمة تأويل إلَّا أنَّها مفتقرة لكلمة (التداولي)، وتخريج ذلك لأنَّ كتابه في النظرية التداولية. ومن الملاحظ أيضًا أنَّه ناقش التأويل التداولي في مواضع متفرقة من كتابه، وفي موضوعات تداولية مهمة نحو: الاستنتاج، والاقتضاء، والسياق وأثره في إقرار دلالة التأويل من جهة التطبيق وليس من جهة التنظير.

(١) التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات(محمد بازي): ٢٣.
(٢) اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب الى المكبوت : ٢٤.
(٣) التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول: ١٣٢.

مرَّ مصطلح التأويل التداولي بتسميات منها (إثراء الصيغة المنطقية للقول)، ويقصد بالصيغة المنطقية المعنى الحرفي في البناء اللغوي[١] . وفي نظر التداوليين أنَّ الصيغة المنطقية المعتمدة على التأويل اللساني لا تكفي لتحديد الفهم والتواصل، وتشخيص الشكل القضوي ((إذ ينبغي إثراؤه بواسطة عمليات تداولية للتوصل إلى تحديد تام لِما قيل، وهذا ما أفضى بهما إلى التمييز بين الصيغة المنطقية للقول، وهو ما نتمكن منه في نهاية عملية التأويل الحاصلة بواسطة المنظومة اللسانية، والشكل القضوي، وهو ما نتمكن منه في نهاية العملية التداولية الخاصة بإثراء الصيغة المنطقية (عندما تكلل العملية بالنجاح)، أما الصيغة المنطقية، فنادرا ما تقبل تقييما يتصل بصدقها أو كذبها خلافا للشكل القضوي))[٢] .

ويطلق الدكتور محمد العبد مصطلحا آخر (تداولية التأويل): ((صار للسانيات التداولية بعامة وتداولية أفعال الكلام بخاصة دور مهم في منهجية التأويل وفلسفته العامة فيما يسمى بتداولية التأويل))[٣] . ولم يكتب الاستقرار لهذين المصطلحين بسبب عدم تبيان مفهومهما، وحدودهما، بل كانت مجرد إشارات عابرة.

وقد ظهر المصطلح لدى تداوليين عدة منهم فان دايك في كتابه النص والسياق[٤] ، ولدى جاك موشلار وزميلته في كتابهما القاموس الموسوعي التداولي وكتابهما التداولية اليوم[٥] وغيرهما.

ولا يبتعد مفهومه بصورة عامة عن مفهوم التأويل، وتعد هذه من أهم نقاط الالتقاء، إذ يقوم الثاني على الممارسة الذهنية كما يرى غادامير؛ لذا قيل في تعريف الأول: ((يعتبر التأويل التداولي على نحو ما فاعلية ذهنية يعتمدها المتلقي من أجل فهم البنية الضمنية أو المسكوت عنها في خطاب التفسير التأويلي الذي يركز على مقصدية

(١) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل(جاك موشلار و آن ريبول): ٩٦، ١٠٠.
(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٩٩- ١٠٠.
(٣) النص والخطاب والاتصال: ٢٨٤.
(٤) ينظر: النص والسياق استقصاء الخطاب في البحث الدلالي والتداولي: ٢٥٧. القاموس الموسوعي التداولي: ١٢٩.
(٥) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ١٠٢.

العَلَاقة المرجعية التقابلية في كتابة المراسلات والمفاهيم الثقافية التي يتناولها الأدباء وغيرهم من الناس))[١] .

في التعريف أعلاه ثمة نقاط محورية يقوم عليها التأويل التداولي، إذ يكون من المتلقي، ويكون في البحث عن المعنى المخفي الذي يمثل قصد الكاتب. وكل ذلك لا يكون إلا من المعرفة المسبقة، والمعرفة بالقيم المنطقية والصُّورية للنص.

والأهم من ذلك كله الإلمام بالسياق، إذ ((إنَّ معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق))[٢] . إذ يتوقف عليه فهم النص، وله الأثر البارز في إقرار المعنى، وإفرازه من المعاني المتعددة، فإذا قال المدير لموظفه: (الساعة التاسعة) مثلا هذا يتطلب منا معرفة بالظروف المحيطة بالملفوظ، فينبغي معرفة أنَّ الموظف قد تأخر عن الدوام الرسمي، وحينها يُقَر بأنها توبيخ. وقد يتبدل المعنى في النص نفسه بناء على تبدل السياق ((وعليه حينما يستخلص نقاد مختلفون تأويلات مختلفة من النص نفسه، فذلك غالبا لأنهم يتعرفون على أو يطبقون سياقات تواصلية مختلفة للنص))[٣] .

ولو طرح سؤال عن سبب اللجوء إلى هذا النوع من التأويل في عملية التواصل، سيكون الجواب لتعذر الفهم، وظهور اللبس، والغموض في الجملة أو النص، بسبب مخالفة الظاهر، ولتعيين القصد الذي يريده الكاتب على وفق معطيات السياق، ولأنَّ الفلسفة التداولية قامت على الإيماء، والرمز، والضمني، والتأدب؛ لذا يتعذر الفهم إلا عن طريق تأويل الملفوظ. ولتتضح الصورة نأخذ هذا المثال المشهور: (هل تستطيع أنْ تناولني الملح)، فبمقدور المتكلم أنْ يناله بحسب ما يرى المتلقي، إذن الجملة ليس سؤالًا، وعليه أنْ يحدس بتأويلات أُخر لقصد القائل، فدعت الحاجة إلى التأويل. ولم ينس التداوليون أنْ يلتفتوا إلى تعليل اللجوء إلى التأويل[٤] .

---

(١) خطاب التفسير التأويلي ملجأ القصدية المرجعيات التقابلية (حامد حسن الياسري)، مقال منشور في جريدة الزمان على الموقع الالكتروني www.azzaman.com

(٢) اللغة والمعنى والسياق: ٢١٥.

(٣) التداولية والسرد: ٦٦.

(٤) ينظر: تداوليات التأويل (عبد السلام اسماعيلي علوي): ٢١٤.

وهنالك مسألة مهمة وهي أنَّ بعض الأحيان يتوصل المتلقي إلى معاني لا يريدها المتكلم وبالعكس، وهذا ما أشار إليه (جون لاينز) بقوله: ((وليس مؤكدًا وليس واضحًا في بعض الحالات طبعًا ما إذا كان المتكلم يريد السامع أنْ يتوصل إلى استنتاج معين أم لا، وهذا يفسح المجال أمام سوء الفهم والتحريف من ناحية والاستغلال الحاذق لفكرة السامع من الناحية الأخرى، على أنَّ السامع لا يقوم فقط باستنتاجات يريد المتكلم أنْ يتوصل إليها ضمن ما يعتقده المرء أنَّه النوع القياسي للموقف، بل إنَّ الاستنتاجات ذاتها في وضع يجعل المتكلم نفسه يسهم في التوصل إليها إنْ طُلب منه ذلك))[١] .

نفهم من الكلام السابق أنَّ التأويل التداولي يتعلق بالمتلقي، وقد أكده التداوليون: ((إنَّ إعادة الاعتبار للتأويل التداولي تجعل منه نشاطًا يقوم به المرسل إليه للتفاعل مع المرسل في التواصل))[٢] .

ويرى صاحبا القاموس الموسوعي التداولي أنَّه موكول إلى النص، والظروف المصاحبة: ((إنَّ التأويل الحاصل ليس إذن رهين القول فحسب وإنما هو حصيلة التوليف بين القول والفرضيات أي جملة من القضايا ذات قوة اعتقاد معينة تكوِّن السياق))[٣] . ويضيفان إلى ذلك قدرة المخاطَب على الاستدلال: ((وإنْ كان التأويل قائما على الاستدلال، فإنَّ التأويل هو أيضا رهين قدرة المخاطب العرفانية على بناء سياق يكون موفيا بالمناسبة أي سياقا يسمح بإنتاج منسجم مع مبدأ المناسبة))[٤] . وقد رجع بالمسألة جون ك-آدمز إلى المتكلم، وقدرته في صنع استراتيجياته على قياس المتلقي: ((فإنَّه الكاتب وليس القارئ من يصنع الستراتيجيات التأويلية لمجتمع تأويلي))[٥] .

والظاهر أنَّ الراجح في حسم هذا الأمر أنَّه خاضع لسلطة المتلقي الذي يقوم بمسارات عدة في عملية تأويل الملفوظ يختصرها سبربر بأربع محطات ((١- التعرف

---

(١) اللغة والمعنى والسياق: ٢٢٨- ٢٢٩.
(٢) تداوليات التأويل: ٢٣١.
(٣) القاموس الموسوعي التداولي: ١٠١.
(٤) القاموس الموسوعي التداولي: ١٠٠- ١٠١.
(٥) التداولية والسرد: ٨٣.

على جملة لسانية داخل الملفوظ. ٢- الاحتفاظ بمعنى واحد فقط، من بين المعاني التي تحتملها الجملة في حالة التعدد الدلالي الراجع إلى غموض معجمي أو تركيبي. ٣- تعيين قيمة إحالية لكل عبارة من العبارات الإحالية الواردة في الجملة. ٤- القيام بحساب للمعاني المسكوت عنها))[١] .

وممَّا يتعلق بالتأويل التداولي، وطبيعته نقاط الالتقاء والافتراق مع التأويل العام -إنْ صح التعبير- فقد ذكرتُ أنَّه يلتقي معه بأنَّه عملية فكرية، ويختلف عنه بأنْ ينحصر التأويل في فهم النص الديني المقدس نحو الإنجيل مثلًا الذي اعتنى بقراءته من الغرب غادامير، وغيره قراءة هرمنيوطيقية، والنص القرآني الذي حوى سبع عشرة آية ذكرت فيها لفظة (التأويل). أما إذا وضعنا ضابطة لكلمة التأويل أو أضفناه إلى (التداولي)، فقد يتضح المراد والفرق؛ لأنَّ التداولية تقوم على إفهام المتلقي والتواصل معه عبر الاستعمال اللغوي بعيدًا عن الاستعانة بالحصائل التاريخية، والأدبية، والفكرية، والعقدية كما هو الحال في الممارسة التأويلية الصِّرْفة. وفي الوقت نفسه لا يكون تفسيرًا بالدرجة الأولى، بل يشبه ما يسميه براون ويول بـ(التأويل المحلي) الذي يعني استحضار السياق المحدد المعين على فهم النص، وإبعاد التأويل غير المنسجم[٢] .

ولا يتم التأويل التداولي إلا بشروط يجب توافرها على المتلقي سميت بـ(كفايات المؤول) قسمها عبد السلام إسماعيلي علوي على ثلاث:

١- الكفاءة اللسانية: إطلاعه على علوم اللغة: الصوت، والصرف، والمعجم، والتركيب، ولا تكفي وحدها للإلمام بالمقاصد.

٢- الكفاءة التداولية: أي المعارف خارج اللسانية التي تحيط بظرف الخطاب أو النص، وتقسم على معارف موازية: أي تتعلق بواقع حال التخاطب، وملابساته، ومعارف سابقة: متعلقة بواقع التجربة الإنسانية المشتركة.

---

(١) التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول (إدريس سرحان): ١٤٢.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب (براون ويول): ٥٨. و: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (خطابي): ٥٦- ٥٧ .

٣- الكفاءة الاستدلالية: يتم التوصل إلى المعنى من الاستدلال، والاستنطاق مع الإفادة من الكفاءة اللسانية والتداولية[١] .

واشترط إدريس سرحان ثلاث كفايات في المؤول أيضًا، وهي كفاية بلاغية وتداولية، وكفاية موسوعية، وكفاية منطقية[٢] . وتقوم الأخيرة على الاستدلال بالدرجة الأولى.

وفي هذا السياق اشترط (جون-ك آدمز) ثلاثة شروط أيضًا تتعلق بطبيعة النص بخاصة النص القصصي الذي اشتغل عليه في كتابه (التداولية والسرد)، فكان الشرط الأول يتعلق بالملاءمة بين المتكلم والمؤول، والثاني بالكفاية اللغوية، والثالث بالكفاية الأدبية: ((يجب أنْ يكون تأويل القارئ لمنطوق المتكلم متطابقًا مع العَلاقة بين المتكلم والمستمع، ويجب أنْ يفترض القارئ أنَّ المستمع يؤول المتكلم مما يعني علميا أنَّ القارئ مجبر على تطبيق معرفته الخاصة بالتداولية على المستمع (أي كفاية القارئ اللغوية) بعد تكييف تلك المعرفة للمتغيرات القصصية والتاريخية (أي كفاية القارئ الأدبية)))[٣] .

وقد اشترط جاك موشلار، وزميلته شروطًا في التأويلي التداولي، توصِلنا إلى نتائج مقبولة، ومن دونها لا يتم التأويل، تتضح بقوله: ((أولا: يتعين عليها أنْ تكون وظيفية، وتمثيلية. ثانيًا: يتعين عليها أنْ توضح عمليات التأويل التي تنص عليها وذلك عبر ثلاث مسائل مختلفة:

أ-ماهي قواعد الاستدلال المستعملة.

ب-ماهي المقاييس التي استندت إليها في اختيار المقدمات (معلومات معروفة).

ج-ما هو المقياس الذي نستند إليه لنقرر أنَّ تأويلًا ما مقبول وأنَّه ينبغي إيقاف عملية الاستدلال؟ ثالثًا: يتعين عليها أنْ تذكر لنا كيف نحصل على المعلومات الجديدة (أي

---

(١) ينظر: تداوليات التأويل: ٢١٦- ٢٢٠ .
(٢) ينظر: التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول: ١٦٠.
(٣) التداولية والسرد: ٦٩- ٧٠.

ينبغي أنْ تعالج العلاقات بين الإدراك والتمثلات الرمزية). رابعًا: يتعين عليها أنْ تذكر كيف تم تمثيل المعلومة وما هي العمليات التي يمكن أنْ نجريها عليها؟))[1] .

ووضع فان دايك شروطًا، يتسنى لنا اقتطاعها من كلامه، تلك الشروط المنطلقة من البنى المنطقية، والسياق وهو يلتقي مع أصحاب النظريات السابقة، مع الافتراق بالتسمية، فقد سمَّاها (مجموعة المعرفة)، فيقول: ((ومن خلال مجموعة المعرفة التي ينبغي أنْ تتحقق ثلاث فئات مندرجة تحت هذه المجموعة.

١- معرفة العالم الذي تؤول في العبارة.

٢- ومعرفة المقامات المتنوعة للسياق.

٣- ومعرفة اللغة المستعملة أعني قواعدها في الاستعمالات الممكنة. وكذلك معرفة أنساق أخرى لضروب مواضعة الفعل المشترك الإنجاز. اذ بدون هذه المعرفة لا يجوز أن تعامل العبارة معاملة لفظية، وإذن لا يجوز إنتاجها، وتأويلها))[2] .

لوحظ أنَّه يركز على التنوع السياقي في تنوع المعنى، وهذا مالم يتنبه به سابقوه، الذين التقى معهم بربطه بين التأويل، والفعل الكلامي، وأقصد أوستين.

ولكي لا يتسم مفهوم التأويل التداولي بالتضليل، والنقص ينبغي ذكر وظيفته، فقد وقفت على ثلاث وظائف متداخلة. تدور كلها في فلك المعنى بحسب ما رصدها صاحبا القاموس الموسوعي، فقالا: ((وتتمثل المهمات التي يجب على التأويل التداولي أنْ يضطلع بها للحصول على الشكل القضوي للقول انطلاقًا من صورته المنطقية في جملة ما في **رفع اللبس، وتعيين المراجع** (الخاصة بكل إحالة)، **وتدقيق معنى بعض العبارات** بالنسبة إلى بعض الألفاظ المبهمة))[3] . وتخلق هذه المهام الثلاث قيمة تواصلية، أشار إليها عبد السلام إسماعيلي: ((أما عن تقييم التأويل التداولي فقد أشرنا

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٦٦.
(٢) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٦١- ٢٦٢.
(٣) القاموس الموسوعي التداولي: ١٢٩.

إلـى أنَّـه يجـب أنْ يقـوم لأجـل الفهـم، وذلـك يتحـقـق بـإدراك المقصـود، وهـذا مـا يجعـل التأويل ذا قيمة تواصلية))[1] .

(١) تداوليات التأويل: ٢٣١.

المبحث الثاني: التأويل التداولي الإرهاصات والتكوين

يعد الخطاب اللساني التداولي الحديث بيئة حاضنة للبعد التأويلي في زاوية إذكاء المعاني وراء النصوص، وقد جاءت حيثيات هذا التأويل متناثرة في كتب التداوليين، وهذا من أهم الأسباب التي جعلت مهمة هذا المبحث رصد تلك المتعلقات والإشارات لدى التداوليين المحدثين مع الأخذ بالحسبان عدم اكتمال دائرة التأويل لدى أحدهم، وإنَّما يكون الأمر تكامليًّا لدى الجميع مما ينتج ما يسمى بمرحلة(التكوين). في الوقت نفسه سأُشير باختصار إلى الإرهاصات الأولى لِمَعْلَم التأويل التداولي لدى العرب القدماء التي كان من المفترض تسجيل جهودهم قبل مرحلة التكوين الغربي، إلا أنَّ اتضاح الحدود، والمقولات لدى المحدثين يميل بك نحو تقديمهم على العرب القدماء.

وإذا أردنا السؤال عن جينالوجيا التأويل التداولي، تكون الإجابة بأنَّه أمر تخميني، وهذا ما أرساه فان دايك بعد أنْ أفرد له عنوانًا أخذ يعرِّف به بوساطة التطبيق، وتقديم الأمثلة له بقوله: ((فعندما أشاهد شخصًا يحرك قلمًا على طرف من ورقة ما بحيث إنَّ الوجه الأبيض لهذه الورقة يكون في جزء منه قد أُختفي بخطوط سوداء، فمن الجائز أنْ أقول إنَّ هذا الشخص يكتب أو هو كاتب، وأنَّه موقَّع وثيقة ما، وأنَّه في حال تقدير شراء منزل ما، وأنَّه بذلك جاعل امرأته في حال من السعادة، وهكذا دواليك، وإذن فكل حال من إنجاز فعل بسيط يمكن أنْ يؤدي الى ضروب متنوعة وأحيانًا منفصلة من التخمين والتأويل لنشاط غير منقطع))[1] .

يستفاد من النص أنَّ التأويل التداولي تخميني، وهذه بدهية جدًا في نظر الهرمنيوطيقيين، مثلما تعطف عليها البدهية الأُخرى أنَّه متعدد الاحتمالات، وربطه فان دايك بالأفعال اللغوية وغير اللغوية.

ووضَّح فان دايك خلافًا لسابقيه أهميته؛ إذ يسهم في تنجيز الفعل الكلامي للعَلاقة القوية بينهما وكون الفعل الإنجازي عملية ذهنية ((وهذا يدل على أنَّ ضروب الأفعال

---

(١) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٤٦-٢٤٧.

من حيث هي كذلك لا يمكن أنْ تلاحظ وأنْ تعرف وتوصف. ووسيلتنا في أنْ نتوصل إليها يكون عن طريق تأويل أحوال تنجيز الفعل))[١] .

ومرحلة التكوين لها مقولات سنقف عليها تباعًا. أُولى هذه المقولات إنَّه يقع في الملفوظات اللاحنة ((فإنْ قيل كيف يرى التداوليون الغربيون الى المستقيم الكذب؟ قيل: يذهب موشلر وربول إلى أنَّه عندما ينتج المتكلم ملفوظًا كاذبًا، فإنَّه يتلفظ بجملة لها على العموم قوة إنجازية إثباتية، ومضمون قضوي يعتقد المتكلم خطأه، وهو عندما يعتقده خطأ فلأنَّه قادر على تأويله دلاليًّا، يعني أنَّه قادر على تحديد شروط الصدق لهذه الجملة. وهكذا فالتحديد الكامل لشروط الصدق يمر دفعة واحدة بسيرورات لسانية، وتداولية لتأويل الملفوظ))[٢] .

وقد أشار جون لا نكشو أوستين في محاضراته الى اللبس، وذهب فيها إلى أنَّه يبدأ التأويل التداولي عند عدم توخي القصد من النظم، ومثاله فعل الأمر (اذهب)، وطرح ذلك على شكل أسئلة ((غير أنَّه ربما كان من غير المتقين[٣] أنَّنا حينما نتلفظ بالعبارة المخصوصة المجردة من القرائن والدالة على الاشتراك، والمفيدة باستعمالها عمم الفعل وشموله كصيغة الأمر (اذهب)، فلا ندري ما إذا كان المتكلم يأمرنا (أو إنَّه يقصد توجيه الأمر لنا) بالذهاب أو إنَّه ينصحنا أو يتوسل إلينا على وجه الاستعطاف أم غير ذلك من مقتضيات صيغة الأمر))[٤] .

وقد أخذ أوستين يستعين بأمثلة أُخر ((وكذلك الحال وبالمثل مع العبارة (يوجد ثور في الحقل)، فيجوز أنْ يقصد بها التحذير وغيره؛ لأنَّه يصح أنْ يكون قد قصد بها وصف منظر رائع، وصورة مبهجة))[٥] .

وقد ألمح أنَّ سبب فقدان القرائن هو الذي يحدد المعنى الإنشائي أو لا: ((وكذلك العبارة (سأكون هناك)، فقد تدل على الوعد، وقد لا تدل عليه. ونجد هنا أمام أعيننا

---

(١) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٤٦.
(٢) الأسس الابستيمولوجية والتداولية في كتاب سيبويه (دكتور إدريس مقبول): ٢٨٦.
(٣) يقصد المتيقن على ما أظن.
(٤) نظرية أفعال الكلام العامة: ٤٧.
(٥) نظرية أفعال الكلام العامة: ٤٧.

أول عبارات إنشائية في مبتدئها متمايزة عند الإنشاءات الصريحة. إلا أنَّه قد يقع أحيانًا ألا يوجد شيء من قرائن الأحوال والملابسات أي ألا يوجد ما يمكن بفضله أنْ نقرر ما إذا كان نطقنا بالعبارة دالًا على الإنشاء أم لا))[1] .

ولم يفت هذا الأمر فان دايك فقد جعله بحثًا عن قصد المتكلم بعد إعادة تركيب الملفوظ بقوله: ((ويستنتج من ذلك أنَّا نعيد تركيب وبناء قصد مفترض، وغاية مرادة، وأسباب أخرى ممكنة لدى الفاعل))[2] .

وقد يتوفر التأويل التداولي على التراكيب الواضحة من جهة المعاني المعجمية في المعنى الضمني؛ إذ يشترط بن عيسى ازاييط ((أنْ يكون منطوق العرض أو منطوق القول معانيه المعجمية واضحة ومفهومة، أو يحتملها حتى تتم عملية التأويل أو الكشف عن المعنى المراد))[3] .

ومن مقولاته إنَّه يتعلق بالتعدد والاحتمال، وقد أشار أوستين في موضع لاحق من كتابه إلى التعدد والاحتمال في دلالات صيغة الأمر، وأثر السياق في إقرار دلالتها: ((ومن أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب، أو الإباحة، أو التهديد، أو الحض، أو التعارض على وجه من الإضراب، وهكذا عندما أقول: (اغلق الباب)، فإنَّه يفهم من السياق معاني متعددة))[4] .

وقد اعتمدت نظرية المناسبة لسبربر وولسن على ذلك التعدد في المعاني، وسمَّاه دكتور عبد السلام عشير بالفرضيات، وقد يتجاوز الأمر الفرضية الواحدة في التأويل التداولي إلى فرضيات عدة، إذ تعد فكرة الفرضيات لدى صاحبي النظرية من أهم الأبعاد التأويلية التداولية، فإذا قلنا: (سيحدث تعديل في النمو) تتضح مجموعة فرضيات منها:

- سيرتفع الاستثمار.

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة: ٤٧- ٤٨.

(٢) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٤٧.

(٣) من تداوليات المعنى المضمر: بحث ضمن كتاب اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق: ٥٩.

(٤) نظرية أفعال الكلام العامة: ٩٨- ٩٩.

- إصلاح إداري.
- ارتفاع دخل الأفراد.

وغير ذلك من تأويلات المتلقي[1] .

والأهم من ذلك كله أنَّه يتعلق بالاستنتاج، ففي بعض أمثلته أومأ أوستين إلى التأويل التداولي في قضية الاستنتاج: ((الاستنتاج من قضية (جميع الناس يعتريهم الخجل) نستنتج: بعض الناس خجلون، ولا يجوز أن نقول: جميع الناس خجلون، ولا واحد منهم خجل))[2] . فلولا التأويل لم نستطع إقرار المعنى عبر الاستنتاج.

صرح بعض التداوليين بأثره مباشرة إذا كان أوستين يستعمل الإيماء، والإشارة، فيعد من أهم المعطيات التي تسهم في التأويل، ويتم عن طريق نظام استنباطي تكون مقدماته مكونة من جهة من الصورة المنطقية للقول، ومن جهة ثانية من السياق.

وقد التقت فرانسوز ارمينكو مع النص السابق في اعتماد الاستنباط على البنى اللسانية والسياق، لما جعلته من قضايا التداولية، وتأويلاتها في سياق الحديث عن القضايا الفلسفية في المضمار التداولي، منها الذاتية، والغيرية، والكوجيتو الديكارتي، وتاريخ العلوم، والمنطق، و((الاستنباط المتعالي للمقولات عند كانط، ويتعلق الأمر بتحصيل القيمة الموضوعية للأنماط الأساسية في تركيب الفكر، إذ إنَّ الاستعمال الموضوعي تنتظمه مبادئ. من هنا تقود وجهة النظر التداولية إلى الأخذ بعين الاعتبار المظهر اللغوي المحض لهذا الاستنباط، وكذلك المظهر التداولي للوجهة التفاعلية لما يعد كقضايا كبرى في العالم))[3] .

وقد ناقش أوستين الملابسات التي تؤيد التأويل، والتي تخفيه أحيانًا، وتجعل النص غامضًا، وناقشها تحت مقولة السياق، وبعنوان (ملابسات وأقوال التلفظ بالعبارة) قائلًا: ((إنَّ النطق بالعبارة هو أهم معين لنا على معرفة الغرض منها...وكذلك وبالمثل فإنَّ

---

(١) ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ١٠٧- ١٠٨.
(٢) نظرية أفعال الكلام العامة: ٦٥.
(٣) المقاربة التداولية ١٠.

العبارتين (سأموت يومًا ما)، وإني (أوصي لك بساعتي هذه) إذا صدرتا من مخاطب سليم البنية، قويها، فإنَّ السياق يعمل على أنْ يجعل فهمنا لها مختلفًا.

وإلى حد ما فإنَّ هذه الوسائط، والموارد المُعِينة على فهم الكلام كثيرة وغنية بالدلالات، حتى إنَّها لتكاد تجرنا من تلقاء ذاتها إلى الالتباس، وسوء التأويل، وعدم التمييز وبخاصة فإنَّه يحدث أنْ ننقلها، ونستعيرها لأغراض أخرى، فننحرف بها عن أصل وضعها، كأن نستعملها مثلًا في باب الرمز، والإيحاء، وغيرها من طريق اعتبار الدلالة، إلا أنَّ الإنشاء الصريح يجعل الالتباس، والغموض غير واردين، ويبقى حصول الإنجاز على هيأته وحالته ثابتًا نسبيًّا))[١] .

وعن السياق، وقيمته، وهويته، فإنَّه يرتبط بالمعارف السابقة، وبتصورات البنى المنطقية في نظر صاحبي كتاب التداولية اليوم، ((ويتكون السياق في الآن نفسه من المعارف الموسوعية التي يتوصل إليها من طريق مفاهيم الصيغة المنطقية، ومن المعطيات التي يمكن إدراكها مباشرة، والمستقاة من المقام أو المحيط المادي، ومن المعطيات المستقاة من تأويل الأقوال السابقة))[٢] .

وقد تجلَّت هذه العلاقة الحميمة بين التأويل، والسياق في نظر فان دايك، ولم يفته أنْ يذكرها، فقد أفرد لها بابًا خاصًا في كتابه النص والسياق، وأسهب في ذكر الروابط بينهما وما بوسعي إلا أنْ اكتفي بقوله المنطلق من ضروب اللغة، والسياق: ((إذ [أنَّ] أنواعًا كثيرة من الأفعال، كضروب خطاب اللغة، تحمل على الأوضاع، والاتفاقات، ويمكن أنْ يكون تنجيز بعض أحوال إيقاع الفعل مرتبطًا أوضح الارتباط بما يطابقها من سلوكات، فعندما نشاهد رجلًا يرفع كأس نبيذ إلى فمه في بعض المواقف، فنحن نستنتج بأنَّه في حال شرب، وهو شارب للنبيذ))[٣] .

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة : ١٠٢.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٧٧، وللاستزادة عن السياق والتداولية وتأويلها، ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ٣٥-٣٧.

(٣) النص والسياق استقصاء الخطاب في البحث الدلالي والتداولي: ٢٤٧.

وقد اتضحت حدود السياق، وأثرها في التأويل التداولي لدى غمبرز، إذ يعد مؤشرًا مهمًّا لا يتسنى التأويل إلا منه، وكان تسلسله المؤشر الثالث في نظريته التأويلية بعد المؤشر الأول :المحادثة، والمؤشر الثاني: اثنوغرافيا التواصل أي علاقة المجتمع باللسانيات التي تتضح فيما بعد في العلاقة بين البعد المجتمعي والتأويل. والمؤشر الثالث هو مؤشر الوضع السياقي ((وأقصد بالوضع السياقي استعمال المتكلمين/ المخاطبين علامات لفظية وغير لفظية تربط بين ما يقال في ظرف مكاني وزماني معين وبين معرفتهم بالعالم))[1] .

وقد اختلف مفهوم السياق هنا عن التداوليين؛ إذ دخلت فيه القرائن اللفظية وغير اللفظية، نحو: التنغيم، والايقاع، والمجاز، وبعض التراكيب الصوتية، والمعجمية، وبعض الملفوظات الطقوسية؛ ليفيد منها المؤول الذي ركز عليه غمبرز في عملية الاستدلال؛ اذ عنده ((التأويل في وضعية كل ملفوظ يتعلق دائمًا بالاستدلال))[2] .

وتمتد مساحة التكوين التأويلي إلى عَلاقة التأويل بالمتلقي، التي نوقشت في المبحث السابق، وتعد نظرة جون سيرل نظرة تكاملية لتكوين التأويل التداولي، إذ أوكله إلى المستمع، وتفسيراته وهو اختلف بهذه عن أستاذه أوستين ((في أنَّ الأول يؤكد على مقاصد المتكلم بينما يؤكد الثاني على تفسير المستمع أو المخاطَب))[3] .

وقد ذهب باحثان آخران هما ماري آن وجورج إليا إلى أنَّ الأمر مشاطرة بين المتكلم والمستمع بقولهما: ((يمكننا القول إنَّ المتكلم يقدم من خلال ملفوظه تعبيرًا تأويليًّا لواحدة من أفكاره، وأنَّ المستمع يبني على أساس هذا الملفوظ فرضية تأويلية تخص القصد الإعلامي للمتكلم))[4] .

ولهذا التأويل وضع المنظرون استراتيجيات أجملها سيرل، وجعلها مشتركة بين الفرد أو الجماعة وعددها ثلاث ((بداية ينبغي أنْ يكون ثمة استراتيجيات مشتركة على

---

(١) التداولية من أوستين إلى غوفمان: ٨٠.
(٢) التداولية من أوستين إلى غوفمان: ٨٠.
(٣) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي (هشام الخليفة): ١٠٧.
(٤) النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية: ٣٩٠.

أساسها يعرف السامع أنَّ القول لا يؤخذ بمعناه الحرفي. أما الاستراتيجية الأكثر تداولًا إنْ لم تكن الوحيدة، فتقوم على أساس أنَّ حدث التلفظ يظل ناقصًا نقصًا ظاهرًا، إنْ أخذناه بشكل حرفي.

في المقام الثاني يجب أنْ يكون ثمة مبادئ مشتركة تجمع اللفظ، كأن تتعلق بمعناه وبشروط صحته أو دلالته الصريحة إنْ كانت له دلالة صريحة مع مجموعة القيم الممكنة...ثالثًا يجب أنْ يكون ثمة استراتيجيات مشتركة تسمح للمتكلم والسامع أنْ ينطلقا من معرفتهما باللفظ))[1] .

ولا يكون ذلك التأويل إلا عبر مراحل، عُدَّ ٱسم سبربر وولسن أكثر ارتباطًا بها؛ والسبب في ذلك؛ لأنَّهما اعتمدا على نظرية فودور القالبية؛ التي تبنى فيها تصورًا تراتبيًّا لاشتغال الدماغ عِبْر ثلاث مراحل، وتعد المرحلة الثالثة مرحلة تأويل بامتياز، فقد ((يعالج القول في البداية بواسطة محوّلات وتعطيه شكلًا تجعله في متناول المسارات الدماغية، ثم تعالجه المنظومة اللغوية المختصة التي تطابق عادة المجالات الصوتمية، والتركيب، والدلالة وهي متتالية مرتبة من المفاهيم، وتوفر لنا هذه المنظومة اللغوية الصورة المنطقية للقول. وتؤدي الصورة المنطقية للقول فيما بعد دور الدخل لمسار التأويل التداولي))[2] .

وقد وضّح التداوليون تلك الخطوات بصورة أجلى حينما قسَّموها على ثلاث مراحل، وسَمُوا الأولى المحولة: التي تقوم على الإدراك الحسي للصوت، والصورة. والثانية النظام الطرفي: الذي يقوم بمعالجة الترجمة التي تقوم بها المحولة على أساس البنى المنطقية للنص. والثالثة النظام المركزي: وهو ما يكون فيه التأويل التداولي بناء على ما يقدم له في الخطوتين السابقتين[3] .

---

(١) التداولية من أوستين إلى غوفمان: ٧٥- ٧٦.
(٢) القاموس الموسوعي التداولي: ١٢٤.
(٣) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا: ٦٤. وقد اختلف بعض الدارسين في تسميته لتلك المراحل فسميت الاولى بـ(اللواقط)، والثانية بـ(الأنظمة الدخل)، والثالثة تقريبًا مشابهة الا أنَّها بصيغة الجمع (الأنظمة المركزية). ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي(مسعود صحراوي): ٣٧- ٣٨.

وبناء على تكوينات التأويل التداولي السابقة يميز سبربر وولسن بين نوعين من الاستعمال، يسمى الأول الوصفي المتأتي من البنى المنطقية، والثاني الاستعمال التأويلي عن طريق استراتيجية التأويل، ويتأسس الثاني على الأول شريطة المشابهة بينهما فـ((كل تمثيل له صورة قضوية وبخاصة كل ملفوظ، يمكن استغلاله للتمثيل بطريقتين. يمكن أن يمثل وضعًا بموجب كون صورته القضوية صحيحة بالنسبة لهذا الوضع، وفي هذه الحالة نقول إنّ التمثيل وصف، أو يستعمل وصفيا. أو أنَّ التمثيل يمكن أنْ يمثل تمثيلًا آخر له صورة هو الآخر صورة قضوية–فكرة مثلًا– بموجب تشابه بين الصورتين القضويتين، في هذه الحالة نقول إنَّ التمثيل الأول تأويل للثاني، أو أنَه يستعمل تأويليًّا))[1] .

وقد يكلل ذلك الاستعمال التأويلي بالنجاح إذا وعى المخاطب بعض الافتراضات المسبقة، التي ربط فان دايك بينها وبينه، وجعله سهل المنال لو أحاط المتلقي ببعض عوالم المتكلم، فقال: ((وكل تأويل لأحوال إيقاع الفعل ينبغي أنْ يكون أكثر سهولة إذا لزم أنْ يحصل الملاحظ على معلومات مسبقة حول مقاصد الفاعل وأغراضه أو/وإذا حاول أن يعرف شيئًا عن الإرادات الأساسية، وضروب التفضيل للفاعل كما هو الحال الحاصل بين أقرب الأصدقاء أو بين المرء وزوجه. وبالعكس قد يكون من الصعب أنْ نؤول الأفعال في ثقافات يوجد فيها جزء من المواصفات والاتفاقات مجهولًا لنا))[2] .

ولقد أضفى جون ج. غمبرز على التأويل التداولي إطارًا آخر كأنَّه جديد، قد أُخذ بالحسبان ضمنًا في ما سبق، وما كان منه إلا أنْ يبرزه بوضوح، ويجعله مؤشرًا مهمًا من أصل ثلاثة مؤشرات. الأول جعل المقاربة التأويلية في المحادثة ، وقد يكون هذا عند مَن سبقه. والثاني: هو المؤشر السياقي كما ذكر سابقًا. والثالث هو المائز لنظرته التأويلية: الاعتماد على المؤشرات الاجتماعية في إقرار التأويل التداولي؛ وذلك لأنَّه انطلق في فلسفته من اثنوغرافيا التواصل، وأسَّس لانفتاح اللسانيات على الأبعاد المجتمعية ضمن إطار اجتماعي موحد أو بيئة اجتماعية موحدة؛ ليحدث التداول بينها،

(١) النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية: ٣٨٩.
(٢) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٤٧.

فيقول: ((لقد بدأنا نتساءل عن إمكانية عزل مجموعات لسانية محددة بوصفها أنظمة اجتماعية مدمجة بشكل وظيفي وتتقاسم معايير التقييم ذاتها(...) لا يوجد تطابق بين النظام النحوي والشعور اللساني من جهة، والفضاء الاجتماعي- التاريخي والسياسي من جهة أخرى))[1] .

ويعطي غمبرز في كتابه اللسانيات الاجتماعية التفاعلية مثالًا يبين فيه الأثر الاجتماعي في تحليل النص وتأويله: طالب أسود نَطَقَ بجملة حينما دعاه الأستاذُ لقضاء أمر كلَّفه به الطالبُ، يتضح منها أثر البعد الاجتماعي في تأويل النص. لمَّا دعا الأستاذُ الطالبَ الى مكتبه، نظر الطالب الأسود الى زمرة الطلبة السود، وقال لهم جملة ترجمتها: سأتخذه لي واسطة، وسمعها أناس من طبقات مختلفة منهم الطلبة البيض، فأوَّلوها بعدم الفهم، وتم الرفض من لدن المؤسسة، والمدرس، وأراحة الطلبة السود؛ لأنَّها تنفعهم[2] .

وإذا أردتُ البحث عن الحس التأويلي التداولي لدى العرب، وهي ما سميتها بمرحلة الإرهاصات التأويلية، ينصرف الذهن بسرعة الى الحقيقة المترشحة التي ترى سبق العرب بالإشارة الى نظرية أفعال الكلام في الأغراض المجازية، والكنائية، وهذا يرشح أيضًا إشارتهم الى التأويل التداولي عند البحث عن الأغراض المجازية للأساليب الإنشائية.

وفي استجلاء تلك الأغراض لم يصرح بعضهم بكلمة تأويل، بينما وردت عند عبد القاهر الجرجاني في مبحث الكناية بقوله: ((فليس من لفظ الشعر عرفت أنَّ ٱبن هَرْمَة أراد بقوله:

ولا أَبْتَاع إلَّا قَرِيْبَة الأَجَلِ

التمدُّح بأنَّه مضياف. ولكنك عرفته بالنظر اللطيف، وبأن علمت أنَّه لا معنى للتمدح بظاهر ما يدل عليه اللفظ من قرب أجل ما يشتريه، فطلبت له تأويلًا))[3] .

---

(١) التداولية من أوستين الى غوفمان: ٧٦.
(٢) ينظر: التداولية من أوستين الى غوفمان: ٧٧- ٧٨.
(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ٤٣١.

ويكاد يكون الميدان البلاغي هو الأوفر خصوبة لمفهوم التأويل التداولي؛ اذ اشترطوا لوجوده امتناع إرادة المعنى الأصلي لبعض الأساليب يقول السكاكي ت٦٢٦هـ في سياق الحديث عن الأغراض المجازية في أبواب التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء: ((فنقول متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام/ كما إذا قلت لمن همك همه: ليتك تحدثني، امتنع إجراء التمني))[١] . فضلًا عن شريطة أداء المعنى الأصلي تجد في النص اشتراط مناسبة المقام وقد تجدها لدى القزويني أيضًا ت٧٣٩هـ: ((ثم هذه الألفاظ كثيرًا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام))[٢] .

وصور التأويلات غزيرة في التراث العربي منها: الاستفهام، والأمر، والكناية، والتعريض، والاستعارة، والتورية، وغير ذلك من الفنون البلاغية، ولا يهمني هنا سوى ذكر مثال واحد يتضح فيه البعد التأويلي، فلتكن الاستعارة يقول عبد القاهر في المفيدة منها: ((ومثاله قولنا: رأيت أسدًا– وأنت تعني رجلًا شجاعًا، وبحرًا– تريد رجلًا جوادًا، وبدرًا وشمسًا– تريد إنسانًا مضيئ الوجه متهللًا...ومعلوم أنَّك أفدت بهذه الاستعارة ما لولا لم يحصل لك وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدَّته، وسائر المعاني المركوزة في طبيعته مما يعود الى الجرأة))[٣] .

يتضح أنَّ استجلاء المعنى كان عبر منفذ التأويل على أساس المشابهة بين المعنيين الحرفي، والاستعمالي، وهذا ما يلتقي به الجرجاني مع سبربر وولسن كما سبق. لا أريد أكثر من هذا من أجل البرهنة على امتلاك العرب لاستراتيجية التأويل التداولي في الدرس القديم، كما يمتلكون جهودًا في الدرس الحديث منها كتاب، ومنها بحث، ومنها فصل من كتاب، منها: مقال ضمن فصل وهكذا، تجدها عيالًا على قُوْت

(١) مفتاح العلوم: ٣٠٤.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ١١٢. وقد كرر العبارة نفسها ابن مالك، ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: ٨٥.
(٣) أسرار البلاغة: ٣٨.

الدراسات الغربية، وبعضها تطبيقية، وبعضها تفصيلي لطبيعة التأويل التداولي في النظريات التداولية، وتختلف عن دراستي كثيرًا.

لا أريد أنْ أُطيل في عرض تكوين التأويل التداولي سوى التركيز على الآليات التي يقوم عليها، وهي آليات تندمج بعلم النفس لا سيَّما في مرحلة الإدراك، وأُخر تندمج في علم اللسان أقصد البنى المنطقية للقول، وثالثة بالعلم الموسوعي ولاسيَّما في السياق، واختياراته الملائمة للقول لحظة التأويل، ومن تلك الآليات يتعلق بمسافات تحليل النص تحليلًا تداوليًّا في فك التضمينات، وتطبيق مبدأ التعاون في أقل تقدير. كل تلك الخطوات تكون على وفق الاستنتاج، وحل الترميز اللساني، والموقفي؛ لتتجبَ ما يُسمى التأويل التداولي، وتحقيق التواصل الإنساني، وإزالة اللبس الدلالي والتداولي. وتلحظ أنَّ النظرية المعرفية لدى سبربر وولسن نظرية تستعين بالجانب الفكري حينما تضفي التأويل هوية على التداولية، وهذا ما تنبه به صاحِبا كتاب النظريات اللسانية الكبرى بقولهما: ((إنَّ أهمية الذرائعيات المعرفية ينبغي أنْ تقدر بشكل مختلف، فهي بكل تأكيد تكمن في توصيف الذرائعيات كنظرية لتأويل معاني الملفوظات، وهو ما يميز هذا المجال عن اللسانيات))[1] .

(١) النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية: ٣٩١.

المبحث الثالث: تجليات التأويل التداولي

بعد استجلاء مفهوم التأويل التداولي ومدى أبعاده التكوينية في الخطاب اللساني التداولي في عدد من النظريات نحو نظرية أوستين، وسيرل، وكرايس، وسبربر وولسن، وغمبرز، وفرانسوز أرمينكو، وجاك موشلار إذ زمُّوا لنا بعض المقولات المتناثرة في كتبهم، ولكي تتم الإحاطة به يجدر البحث عن تجلياته، وصوره في تلك النظريات، فكان في بعض منها، ولم يتوافر على بعض آخر. ففي تداولية اللغة الشكلية والطبيعية لفرانسوز أرمينكو لا تجد تأويلًا. على العكس من ذلك تجده في نظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل، ومبادئ التعاون لكرايس، ونظرية الملاءمة لسبربر وولسن، ونظريات الحجاج لديكرو وغيرها، والمعنى الضمني في تداولية الدرجة الثالثة لهانسون، ومن تمم النظرية أعني كرايس وغير ذلك.

تعد نظرية أفعال الكلام قائمة على مرتكزات مهمة منها ((تنطلق النظرة الكلاسيكية لأفعال الكلام في الاعتقاد التالي: إنَّ الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال))[1] . ومن المرتكزات الأُخر هي التأويل، إذ استكناه الفعل الإنجازي يكون من جراء التأويل، فإذا قلنا : (ستستعيد الكتاب) تردُ أفعال مختلفة ((ويعبر عن نفس القضية ستستعيد الكتاب من خلال إنجاز ثلاثة أفعال إنجازية مختلفة هي: التِماس، وتنبؤ، وسؤال))[2] .

وبناء على هذا الأثر المميز ربط فان دايك بين نظريته التداولية وأفعال الكلام[3] ، بل وصل الأمر به أن يساوي بين تنجيز الفعل الكلامي والتأويل التداولي بقوله: ((وعملية تحويل الخطاب الى أفعال منجزة يمكن أيضًا أنْ يسمى تأويلًا تداوليًّا للعبارات))[4] .

وكما هو معلوم لنظرية أفعال الكلام حيثيات عدة، منها أركان الكلام، ومنها أصنافه، ومنها أقسامه إلى المباشر وغير المباشر، فيعد التأويل التداولي عمليات ذهنية

(١) المقاربة التداولية: ٦٠.
(٢) المقاربة التداولية: ٦١.
(٣) ينظر: لسانيات النص مباحث في التأسيس والإجراء (د. نعمان بوقرة): ١٠٦.
(٤) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٥٧.

لرصد القوة الإنجازية في المعنى غير المباشر اعتمادًا على طاقات المستمع، ومكنته اللسانية، والاستدلالية، والسياقية، وقد نوَّهتْ بهذا الشيء فرانسوز ارمينكو: ((ويكمل الافتراض الجديد الذي يقدمه سيرل سنة ١٩٧٥ السابق إذ يبلغ المتكلم المستمع في أفعال اللغة غير المباشرة وبما فيه الكفاية، بأنَّ ما يقوله فعلًا، يعتمد على خلفية إخبار متبادل ومتقاسم، وإخبار لساني وغير لساني، وعلى قدرة استدلال عقلي للمستمع، فالجهاز النظري المطلوب لتفسير الجزء غير المباشر لأفعال اللغة غير المباشرة يقوم على النظرية العامة لأفعال اللغة، وعلى المبادئ العامة للتعاون العرفي كما قعَّد كرايس لذلك، وعلى خلفية إخبار متقاسمة بين المتكلم والسامع))[١] .

سأستعين بالمثال الآتي لتتضح الصورة، مرجئًا التفصيل، والإطالة: ((يضعنا سورل أمام تمييز جديد داخل الفعل اللغوي نفسه، وهو الفعل اللغوي المباشر المدلول عليه حرفيًّا، والفعل اللغوي غير المباشر المدلول عليه سياقيًّا أو المستفاد من المقام ومثل ذلك:

أ- لنلعب هذا الصباح كرة القدم.

ب-سأنجز تمارين الرياضيات.

فالجملة الأخيرة (ب) تنجز فعلين لغويين اثنين الأول إخباري، ويتبدى في كون المتكلم أراد أنْ ينجز تمارين الرياضيات. أما الثاني فغير مباشر يتبدى في رفض أمر المخاطب لعبة كرة القدم))[٢] .

فلولا التأويل لَمَا استطاع المتلقي إدراك معنى المعنى من الجملة (ب)، كما يستطيع المتلقي تأويل الاستعارة التي تعد من أهم مقولات تداولية سيرل، والذي يرى منها ضرورة توافر المعنى الحرفي عليها ليقوده إلى معنى المتكلم الاستعاري ((فالدلالة الحرفية لملفوظ ما ينبغي أنْ تكون ظاهرة لأنَّها هي المنطلق، وهي التي تساعدنا على

---

(١) المقاربة التداولية: ٧٢.

(٢) بين تداولية سورل وتفكيكية دريدا (عبد الله بريمي) ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ٢٦٧.

فهم كل الاستعمالات غير الحرفية، وهي التي تجعل منها تبعا لذلك استعمالات قابلة للإدراك))[١] .

والتأويل التداولي لدى سيرل في الاستعارة عبارة عن تأويلين الأول يكون في المعنى الحرفي وهو تفسير تداولي. والثاني في المعنى غير الحرفي بعدما يقارن بينهما على الأساس الرابط بينهما ((ثم ينطلق بداية من مبادئ تأويل المنطوق الحرفي بالبحث في السمات الضرورية للمقارنة بين المنطوق الحرفي، والمنطوق الاستعاري من خلال المقارنة بين بعض الجمل التي يصح أنْ تقف عند حدود المنطوقات الحرفية التي لا تتوفر لها قرينة مانعة من إرادة المعنى الحرفي ذاتها، أي بمعزل عن سياقها))[٢] .

وتعد العلاقة تلازمية بين التأويل والاستعارة، أي عدم الافتراق بينهما، وعليه يتوقف معناها في كثير من الأحيان إذا بَعُد المعنى الحقيقي لجملة (غرفة زيد زريبة خنازير)، فهنا يشتغل التأويل لتحديد الدلالة المرادة من جهة الأوساخ بعيدًا عن المعنى الحقيقي، وبحسب السياق.

ويتوافر التأويل التداولي على الاقتضاء الذي يعرَّف بقول أحدهم: ((بإمكاننا بكل بساطة وصف الاقتضاء بأنَّه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة، وهكذا فإنَّ القائل إذا قال (كفَّ زيد عن ضرب زوجته) فإنَّه قال صراحة [أن] زيدًا لا يضرب زوجته الآن. وهذا هو المحتوى المقرر أو الإخبار، كما أنَّه أبلغ بكيفية غير صريحة أنَّ زيدًا ضرب زوجته فيما مضى وهذا هو المحتوى المقتضى أو الاقتضاء))[٣] .

ويعد المعنى المقتضى لحظة تأويلية تداولية لإزالة الإبهام ((ونفهم بسهولة بأنَّ الاقتضاء يعطي فرصة للإبهام دون تحمل مسؤولية مقصدية عن المحتوى، وكمية هذا المحتوى القضوي))[٤] .

---

(١) بين تداولية سورل وتفكيكية دريدا: ٢٦٧.
(٢) بين تداولية سورل وتفكيكية دريدا: ٢٦٨.
(٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٤٧.
(٤) المقاربة التداولية: ٥٢.

ويعد أوستين أول من أشار من التداوليين إلى أثر التأويل في إجلاء المعنى المقتضى في محاضراته، فيقول: ((ضروب الاقتضاء: إنَّ حُكْمَنا (بأنَّ جميع أبناء جون صلع الرؤوس) يقتضي أنْ يكون ولِد لجون بعض الأطفال))[1] .

ومن التداوليين الذين توافر على مقولاتهم التأويل التداولي غرايس من دون أنْ يصرح بلفظ تأويل، وإنَّما يفهم ويقر في الذهن أنَّه يعتمده آلية لفهم إحدى المعاني التي يشار إليها في النص، وتوزع ذلك على عدد من إسهاماته التداولية، ومنه في تقسيماته للمعنى إلى طبيعي وغير طبيعي. والمعنى الطبيعي يقوم على المعنى الحرفي ((أما المعنى غير الطبيعي، فيتجسد في الأمثلة الآتية: هذه الرنات الثلاث في جرس الحافلة تعني أنَّ الحافلة ممتلئة. أنْ يقول زيد لعمرو: إنَّ غرفتك زريبة خنازير...في حين أنَّ قولَ زيد لعمرو: غرفتك زريبة خنازير، مفاده أنَّ غرفة عمرو وسخة))[2] .

وقد يتم تبليغ المعنى ضمنيًا وهذا ما أكده هانسون في تداولية الدرجة الثالثة وسبربر وولسن، اذ يميز سبربر وولسن بين المعنى النصي والمعنى بالصفة الضمنية. وهذا يتبين بمقول الطفل ((لا أشعر بالنعاس، حيث نجد تنصيصًا أولًا هو الشكل القضوي للقول في اللحظة (ز) وفي المكان (م) (لا أشعر أنا زيد بالنعاس) ونجد تنصيصًا ثانيًا هو: اعتقد (أنَّني لا أشعر بالنعاس)، فإنَّ الطفل يقول ضمنيًّا (وهذا ما يبلغه قوله أيضًا) أنَّه لا يرغب في تنظيف أسنانه فورًا))[3] .

يلتمس المعنى الضمني في الجمل أو النصوص عن طريق التأويل كما في المثال أعلاه وفي (الجو حار) ونحن في غرفة مغلقة النوافذ، والجميع يعلم ذلك ليبادر المخاطب بفهم الأمر من الجملة عن طريق التأويل مع الاستعانة بالسياق الذي أقره التداوليون بلا استثناء، ولا سيما جون لاينز وقد ناقش في إحدى مساحات كتابه (اللغة والمعنى والسياق) المعنى الضمني، وألحَّ على أنْ يستدل عليه من التأويل بآلية

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة: ٦٦.
(٢) المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحواري انموذجا: ١٠٠- ١٠١. وينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٣. يسمي هشام الخليفة هذين القسمين من المعنى بأسماء مختلفة وهي (معنى الجملة، ومعنى المتكلم) ويعطيهم التعريف نفسه. ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ١٥٨- ١٥٩.
(٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ١٠٢.

الاستدلال، وسمَّى عنوان بابه (الاستدلال والتضمين)، وأشار إلى أثر التأويل بقوله: ((حيث يمكننا أنْ نعني ضمنًا، بل إنَّنا نعني ضمنًا عادة شيئًا ما بواسطة وحداتنا الكلامية يختلف عما نقوله فعلًا، فمثلًا لو طلب مني أنْ أعطي رأيي في شخص ما، فربما سأقول: إنَّه يقاسمك كسرة خبزة. ومن الواضح أنَّي لم أقل إنَّ هذا الشخص شفوق وكريم، إلا أنَّه يفهم ضمنًا وبشكل معقول إنِّي قصدت هذا))[1] .

يتضح أنَّ الفهم كان عن طريق التأويل في نظر جون لاينز، التأويل الذي وضع شروطه. يتمثل الشرط الأول بعدم كفاية المعنى الحرفي في سياق الملفوظ، فضلًا عن القيود السياقية المتمثلة بمعتقدات المشاركين وافتراضاتهم وأثرها في إحكام ذلك التأويل وتحقيق الاتصال، وآخر الشروط إدراك المخاطب للملاءمة السياقية للمجاز[2] .

ومن تجلياته أن يكون التأويل التداولي آليَّة لفهم المعنى المستلزم في نظرية كرايس (الاستلزام الحواري)، ((ذلك أنَّ غرايس ١٩٧٩ لاحظَ بأنَّ جمل اللغات الطبيعية يمكن أنْ تدل في بعض السياقات على معان أُخرى خفيَّة غير المعنى القضوي، للنظر في السياق التالي:

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عَليكَ إذَا فَعلتَ عظيمُ

فالتلفظ بهذه الجملة يتضمن ثلاثة معان:

- المعنى الحرفي الدعوة إلى عدم القبول بأفعال أو سلوكات نحن نرفضها.
- القوة الإنجازية (النهي).
- المعنى الاستلزامي أي المعنى الذي يستفاد من السياق هو التوبيخ))[3] .

وحاول جون لاينز توظيف التأويل على مبدأ التعاون المشهور وأشار إليه معبرًا عنه بـ(التفسير) في اللغة المجازية، ((كيف تنطبق إذن مبادئ كرايس الأساسية في التعامل التعاوني على عملية التفسير المجازي؟ الجواب الشائع عن هذا السؤال هو أنَّ هذه المبادئ لا ترشد المخاطب في بحثه عن تفسير مجازي معين دون غيره. إنَّما تدفع

(١) اللغة والمعنى والسياق: ٢٢٨.
(٢) ينظر: اللغة والمعنى والسياق: ٢٣٨- ٢٣٩.
(٣) بين تداولية سورل وتفكيكية دريدا: ٢٦٦.

البحث نفسه إلى الأمام، فعندما يسمع المخاطب (جون نمر) أو يقرأها فإنَّه ينبغي عليه أنْ يعلل قائلًا ما يلي: لا يمكن للمتحدث، الكاتب أنْ يقصد هذا حرفيًّا، على أنَّه ليست لدي أسباب تدعوني للاعتقاد أنَّه غير متعاون))[١] . ثم يطرح أسئلة يفهم منها اللجوء الى التأويل في نظر المتلقي((ولهذا لابد انَّه يريد أنْ يخبرني عن شيء معقول على ما يبدو بالنسبة لكلينا (في ضوء معتقداتنا وافتراضاتنا عن العالم أو ما إلى ذلك) كما يجب عليه أنْ يظن (إذا كان متعارفًا) إنَّ بإمكاني أنْ أجد لنفسي طريقة لفهم المعنى اللاحرفي، استنادًا إلى المعنى الحرفي على ما يبدو...لابد أنْ أفكر هل بإمكاني أنْ أفسر الجملة مجازًا))[٢] .

وقد تنبه بهذه الفكرة هشام عبد الله الخليفة عند مخالفة مبدأ التعاون، وأوكل الأمر إلى المخاطب، مما يجعلك تحكم بأنَّها عملية تأويلية بامتياز: (((ومع ذلك فهو في هذه الحالات يعتمد على مقدرة المخاطب على أنْ يتوسع في تفسير الكلام المنطوق عن طريق الاستنتاج المباشر المبني على افتراض أنَّ المتكلم يطيع القواعد))[٣] .

والعناصر الإشارية هي الأخرى يتجلى فيها التأويل التداولي بوضوح بسبب حدوث اللبس، والتعمية، والغموض، نحو التأشير الشخصي[٤] ، فلو قال قائل: نحن، يأخذ المتلقي بإشغال التأويل على من تنطبق هذه الـ(نحن). وبطبيعة الحال ((تفتقر العناصر الإشارية إلى الاستقلال الإحالي بما أنَّها لا تستطيع بمفردها تعيين مرجعها، وهو كذلك شأن أسماء الإشارة التي تخلو من الاستقلال الإحالي؛ لأنَّها خالية من الإحالة الاحتمالية أي ليس لها دلالة معجمية))[٥] .

وكان اللبس التداولي في الإحالة المعجمية لدى الدكتور أحمد المتوكل على أنماط فيها، في الإحالة على العام، والخاص، والمعيَّن، والمطلق.

---

(١) اللغة والمعنى والسياق: ٢٣٨.
(٢) اللغة والمعنى والسياق: ٢٣٨.
(٣) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ١٦٢.
(٤) ينظر: التداولية (جورج يول): ٣١.
(٥) القاموس الموسوعي التداولي: ١١٠.

عن العامة، والخاصة يقول: ((نقول عن عبارة ما إنَّها محيلة إحالة عامة حين تدل على ذوات متعددة أو طبقة من الذوات كما هو الشأن بالنسبة للعبارة (المسلم) في الجملة مثلًا: المسلم أخو المسلم.

أما العبارة المحيلة إحالة خاصة فهي كل عبارة ترد دالة على ذات واحدة. مثال ذلك العبارة (المسلم) في الجملة التي تحيل لا على طبقة من الذوات، بل على عنصر واحد من هذه الطبقة: قابلت جارنا المسلم))[١] .

ويقول عن الإحالة المطلقة والمعيَّنة: ((وتكون العبارة محيلة إحالة مطلقة حين تدل على ذات أو مجموعة من الذوات دون تعيين كما هو شأن العبارة (مصري) في الجملة حبذا لو تزوجت هند مصريا.

وترد العبارة محيلة إحالة تعيين حين تدل على ذات معينة يعرفها المتكلم ويمكن للمخاطب أنْ يتعرف عليها من أمثلة ذلك العبارة مصريًّا في الجملة التالية: تحقق حلم هند فتزوجت مصريًّا))[٢] .

وانطلاقا من الرؤية التي تجعل الحجاج بعدًا تداوليًّا أناقش العَلاقة بينه وبين التأويل التداولي؛ فتعد الممارسة الحجاجية الطبقة الغنية بالتأويل، ولولاها لَمَا تمَّ التبليغ، والإنتاج في القول، وتشخيص الحجة بخاصة إذا كانت متمتعة بالرمزية ((لذلك فالعبارة في الحجاج إذا اقتصرت على ظاهرها جاءت عادية أو عارضة في القول، بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام، أما إذا حملت معها إشارات رمزية، فإنَّها بكل تأكيد ستحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب وتدفعه نحو اعتقاد ما))[٣] .

وقد قام التأويل التداولي على الاستدلال في المقام الأول، وعُدَّ هذا الاستدلال البيئة الأمثل لدراسة الحجاج في نظر أرسطو ومن هنا تتضح العلاقة بينهما[٤] . بل جُعل

---

(١) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ١٣١.
(٢) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ١٣٢.
(٣) عندما نتواصل نغير: ١٣١.
(٤) ينظر: الحجاج عند أرسطو (هشام الريفي)، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم: ٩٩.

التأويل خصيصة حجاجية وهذا يفسر لجوء الباحث علي الشبعان الى تسمية كتابه (الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل).

فلو قال قائل: على الدواعش أن ينسحبوا من مدينة آمرلي، هنا يشتغل التأويل بناء على الافتراضات المسبقة والمعلومات السياقية التي قدمت حجة بالغة وهي قوة الجيش والحشد الشعبي التي عززت هذه المدينة بحضورها وتسليحها، فلا يتم تأشير هذه الحجة الا عبر الاستدلال والتأويل.

وقد ارتكزت نظرية المساءلة لميشال مايير على المسافة التأويلية في فك شفرة السؤال المجازية ورصد الحجة ولاسيما أنَّ المتكلم لا يبحث عن جواب لسؤاله وإنَّما لإشغال ذهن المتلقي. فلو قلنا: (محمد أسد) يلتمس وجه المشابهة عن طريق منفذ التأويل[١] .

وهنالك إضافة أخرى من لدن ديكرو لمّا يرى أنَّ التأويل يكون في بعض البنى اللسانية ولاسيما الروابط التسويرية، فضلًا عن أنَّه قسَّم التأويل على سلبي وإيجابي. وسيتضح الأمران في النص الآتي: ((من ذلك مثلًا (لم، وبعض) في الملفوظين: لم يقرأ زيد كل كتب الجاحظ، وقرأ عمرو بعض كتب الجاحظ.

فالملفوظان يخبراننا بأمر متطابق (فزيد وعمرو كلاهما قرأ بعض كتب الجاحظ ولم يقرأها كلها) لكن الملفوظ الأول يؤدي بنا إلى تأويل سلبي مثل قولنا: إذن فهو غير قادر على كتابة مقال عن آثار الجاحظ في حين يؤدي بنا الملفوظ الثاني إلى تأويل إيجابي، مثل قولنا: فهو أهلٌ لأنْ يكتب مقالًا في المسألة))[٢] .

ولو فتشنا في بعض تفرعات نظرية شايم بيرلمان والبريخت تيتكاه، سنجد للتأويل الأثر البارز في إقرار حجية بعض منها، ففي حجة التماثل محور تأويلي لما تقوم على طرفين أحدهما حقيقي والآخر مجازي[٣] ، فلو قلنا: (الرجل رجل) يأخذ العناق التأويلي

---

(١) ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار (محمد علي القارصي)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج: ٣٩٥- ٣٩٦.

(٢) التداولية من أوستين إلى غوفمان: ١٦٦. وينظر: الحجاج واللغة (شكري المبخوت) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج: ٣٧٩.

(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه (عبد الله صولة) ضمن كتاب اهم نظريات الحجاج: ٣٢٧.

أثره في فهم الحجة والمقصد التي جاءت من أجله، ويكمن التأويل في الركن المجازي من الملفوظ، فرجل الثانية يؤولها المتلقي ليقف بها حجة لتغيير قناعة أي مواصفات الرجل وهي الغيرة والشجاعة وهكذا بحسب المقام.

الفصل الثالث

التـــداولية المدمجة

إجالة في المفهوم والتلقي العربي

توطئة مختصرة جدا.

لقد أصبحت التداولية المدمجة حقلا مستقلا، ومتناميا، له بعض الكتب، والمجالات الخاصة، والمؤتمرات المحلية والعالمية، يعد المعيار الابستمولوجي لهذه النظرية معيارا بنيويا سوسيريا بتعبير صريح، عكس المعايير الابستمولوجية السابقة في النظريات السابقة، إذ يقول الدكتور رشيد الراضي عن المعيار البنيوي عند ديكرو: ((مظهران أساسيان ومتلازمان، أولهما يتمثل في أن الدلاليات يجب أن تكون بنيوية، وثانيهما أن أساس البنيوية في مجال الدلالة هو أن يؤخذ التلفظ بعين الاعتبار))[١] .

المبحث الأول: عرض موجز لنظرية ديكرو الحجاجية

يشتغل الحجاج على مبدأ التأثير والتغيير في القناعات، وتحقيق الإذعان، وذلك لا يكون إلا عبر التقنيات-كما اشتهر هذا التكوين-، وقد تعددت تلك التقنيات، و جاء التفكير الحجاجي على وفقها، فكان عندنا التفكير الحجاجي البرهاني في منظومة شايم بيرلمان وتيتكاه، والتفكير الحجاجي المنطقي عند جان بليز غريز، مازجا ذلك مع النشاط الخطابي، ويتساوق معه في التفكير المنطقي الحجاجي تولمين في تأسفه على ابتعاد المنطق عن المناقشات العادية، أما التفكير الحجاجي الفلسفي، فكان على يد ميشال ماير، ومن ثمّ أدرك اللساني الفرنسي اوزفالد ديكرو ومعه جان كلود أنسكومبر الابتعاد اللغوي في التفكير الحجاجي، فاقترح نبذ المنطق والارتكاز على اللغة، فقدم أطروحته التي عرفت بالحجاج اللغوي، وهي ((نظرية لسانية تدرس الحجاج في اللغة، باعتباره ظاهرة لغوية. الحجاج بالنسبة إلى هذا اللغوي، فعل لغوي، ووظيفة أساسية للغة

(١) الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الراضي، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، اشراف الدكتور حافظ اسماعيلي علوي: ٢/ ٤١٩.

الطبيعية، ثم إنه مؤشر له في بنية اللغة، فهناك أدوات وروابط، وعبارات لغوية يتمثل دورها الوحيد أو الأساسي في القيام بالعمليات الحجاجية))[١] .

وقد أنطلق ديكرو من أسس مهمة ، تنطلي في الآتي:

المنطلق الأول: البعد الدلالي، وعلاقة المستويات اللغوية بعضها ببعض، أي: إنّ الوظيفة الحجاجية للغة تولد معنى، وهذا المعنى إمّا معنى ظاهر، أو معنى مقتضى.

المنطلق الثاني: إنّ الوظيفة الجوهرية للغة هي الطاقة الحجاجية، وهذه الوظيفة تكمن في الملفوظات عينها، من جهة الصوت، والصرف، والتركيب، والدلالة[٢].

ويلخص الدكتور شكري المبخوت نظرية ديكرو الحجاجية بأربع خطوات :

الأولى: بيان مفهوم السلّم الحجاجي: بوصفه نظرية حجاجية جاء بها ديكرو، تقوم على الدرجية في ترتيب الحجج، تتسم بأهمية واضحة ((تكمن أهمية نظرية السلالم الحجاجية أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للقول، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب))[٣] .

الثانية: بيان مفهوم العوامل والروابط الحجاجية: بوصفها مكونات لسانية تساعد على ربط الدلالات في النصوص، فهي ((مفاهيم أساسية في التصور الحجاجي اللساني، بل إن النظرية الحجاجية في جوهرها تقوم على دراسة هذه العوامل والروابط الحجاجية بالمواضع))[٤] .

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي، الدكتور زكرياء السرتي: ٤٧.
(٢) ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: ١٤.
(٣) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود: ٣٧٠.
(٤) الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، بحث منشور ضمن مجلة عالم الفكر، العدد ١، مج ٣٤، ٢٠٠٥م: ٢٣٣.

الثالثة: بيان مفهوم الموضع الحجاجي: إذ يعد فكرة رئيسة، ومبدأ حجاجيا عاما، يفيد منه المتخاطبون؛ للحمل على إحدى النتائج التي يتضمنها النص، ويشترط في ذلك الموضع المقبولية لدى الجمهور، فتصبح قيمة استدلالية[١].

الرابعة: بيان منزلة الحجاج اللغوي من التداولية المدمجة: في هذا المفصل بدأ شكري المبخوت يذكر ماهية التداولية المدمجة ثم **يفصلها عن الحجاج اللساني،** إذ يرى أنها تفيد من الحجاج حينما تكون ايقونة تواصلية، تركز على الدلالة في المقام، لغرض قبول الآخر للخطاب، فيكون الحجاج اللساني بحسب أطروحة ديكرو **((**علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بد من أن تتوفر في الحجة ق١ شروط محددة حتى تؤدي الى ق٢ لذلك فان الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية**))**[٢] ؛ فيرى أن الحجاج لساني، والتداولية دلالية مقامية، وبتآزرهما تتضح القيم النصية[٣] .

---

(١) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٨٠.
(٢) نظرية الحجاج في اللغة: ٣٦١.
(٣) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٦٢.

المبحث الثاني: مفهوم التداولية المدمجة

في البدء أشير إلى الوهم الحاصل في جوهر التداولية المدمجة، إذ يرى غالب المتخصصين أن سبب التسمية هو دمج التداولية بعلم اللسانيات بصورته الكلية، وواقع الحال غير ذاك، بل هو دمج التداولية في الدلالة، فتتشكل نظرية تداولية على شكل حرف y كما يسمونها، يتكون فيها القول من البعد الدلالي، والبلاغي، والمقام.

ويبقى السؤال المهم، ما الذي تتبناه التداولية المدمجة؟ إذ: ((إن التداولية المدمجة سعت إلى ترسيخ دعامتين رئيستين: الأولى حصر دراسة الجوانب التداولية في اللغة ذاتها. أما الدعامة الثانية فهي حصر الحجاج داخل أبنية اللغة؛ نظرا لما تتصف به هذه الأخيرة من وظائف حجاجية متنوعة تسمح بتوصيل رسالة معينة ومحددة إلى المتلقي))[١].

يرجع الباحثون بنشأتها إلى ديكرو، بينما يشير الدكتور إدريس مقبول إلى ديكرو، وبيروندنير في كتابه (عناصر التداولية)، بعدما وجها نقدهما للتداولية الخطية التي لا تعي المعالجة اللسانية في الملفوظات، فيريان أن التواصل التداولي يحتاج إلى التكوين اللساني، والخارج لساني، يشير الأول إلى الدلالة، والبلاغة، ويشير الثاني إلى أحوال المخاطبين[٢].

من جهة التسمية، وسمت بعدد من التسميات، منها التداولية المدمجة وهي الأنسب والأشهر، والتداولية اللسانية، وهذه ما تبناها مترجما كتاب التداولية اليوم علم جديد في التواصل.

---

(١) آيات الأعراف والتقاليد دراسة في الحجاج اللغوي والفعل الكلامي، رشا حسين عبيد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٤٠هـ- ٢٠٢٠م:١٤.

(٢) ينظر: الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، الدكتور إدريس مقبول: ٢٧٠- ٢٧١. وهنالك إشارة في البحث المترجمة عن هرمان باريه، الذي ترجمه صابر الباشة، والمنشور في كتابه لسانيات الخطاب، إذ يشير إلى أن هرمان باريه ناقش مسألة الدمج الثلاثي للتداولية فكانت في البلاغة، والدلالة، والمقام، وكان ذلك في أحد أعماله سنة ١٩٨٠ وهذا الزمن هو وقت انطلاق ديكرو بنظريته، ورسمه على شكل حرف y، لذا اقتضى التنويه، ينظر: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية: ٢٢٦.

وهنالك مؤشر مهم يعد سببا لتطور التداولية إلى التداولية المدمجة، هو مقولة الاقتضاء، ((بإمكاننا بكل بساطة وصف الاقتضاء بأنه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة))[١]. وقد اعتمده ديكرو في إدراك الدلالة، وقدم له تعريفا: ((فليس الاقتضاء هو ما يضمن استمرار الخطاب وحسب، بل إن القائل وهو ينتج عملا متضمنا في القول إخباريا مثل (ملك فرنسا حكيم)، ينجز بصفة ثانوية عملا متضمنا في القول اقتضائيا، أي عملا مقننا اصطلاحيا في اللغة))[٢] .

وقد وضح جاك موشلار وآن ريبول أن مشروع ديكرو وانسكومبر المدمج يهدف للدفاع عن أطروحتين، الأولى تختصر بالدفاع عن التصور غير الوصفي، ولا تبلغ الأقوال عن وظيفتها التمثيلية فقط أي عدم اكتفائها بالجنبة البنيوية، بل تبلغ أعمالا لغوية. والأطروحة الثانية، تسمى الإحالة الإنعكاسية أو الإحالة الذاتية، التي تتلخص بأن معنى القول صورة من عملية إلقائه، أي: إن المعنى في القول نفسه[٣] .

وقد قيل في **تعريفها:** ((هي نظرية دلالية تدمج في الشفرة اللغوية (اللسان بالمعنى السوسيري ١٩٦٨) مظاهر عملية القول))[٤] . وتقع منزلة الحجاج فيها عبر الاستدلال على المعاني، بطبيعة لسانية، وعلى وفق السلم الحجاجي ((أما بالنسبة إلى التداولية المدمجة فإن فهم الأقوال يعتمد مسارات استدلالية خاصة باللسان. هي الاستدلالات الحجاجية، وهي غير استنتاجية وذات طبيعة درجية أي مرتبطة بالتدرج))[٥] .

وتوجد مسلَّمات للتداولية المدمجة، يذكرها جاك موشلار، وآن موشلار، وهي[٦] :

أ- اللسان شفرة لغوية، الوضع لغاية إيصال المعلومات، واعتبارات التواصل، أي إن اللسان يعكس عملية إلقاء القول.

---

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلاران ريبول: ٤٧.
(٢) التداولية اليوم:٤٩.
(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار آن ريبول: ٣٥.
(٤) القاموس الموسوعي التداولي: ٨٣.
(٥) القاموس الموسوعي التداولي: ٨٤.
(٦) ينظر: القاموس الموسوعي التداولي: ٨٤- ٨٥.

ب-لا يرتكز اللسان على الإمكانيات النحوية داخل الجملة فحسب، بل توجد شروط لغوية دقيقة تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها، وتسمى هذه المحاولة في التداولية المدمجة (بنيوية الخطاب المثالي). ومعنى البنيوية أن الإحالة في المعنى تكمن في النص نفسه.

ت-تشتغل التداولية المدمجة على جانبين هما دلالة الجملة (المجال اللغوي)، ومعنى القول (المجال البلاغي أو التداولي)، ويبقى إدراك المعنى مرتكزا على العناصر اللغوية وغير اللغوية.

ث-العلاقة بين الأقوال علاقة حجاجية لا استنتاجية، وهذا يعني ابتعاد الحجاج عن الاستدلال، والاستنتاج، واقترابها من التكوين اللغوي، الذي يسمى (مواضع).

ج- تشتغل على أحداث الخطاب، ذات الوظائف المختلفة، وهذه الأحداث تكون بنية معقدة تسهم في إنتاج الأقوال.

ح- يندرج منوال التداولية المدمجة ضمن ابستمولوجيا المحاكاة، وتقوم المسلَّمة الرئيسة على تمييز مجال الواقع الذي لا ندرك منه إلا الوقائع والأحداث، التي يرمز لها بالرمز (ح)، من عملية المحاكاة العملية.

مقولات التداولية المدمجة:

- الجملة: بصورتها البنيوية، المجردة، التي يولدها المكون اللغوي.
- البلاغة: من جهة الإسناد، وبوصفها مكملا للجانب اللغوي، وليس مستقلا عنه((لذا وجب إكمال المكون اللغوي بمكون بلاغي مهمته إسناد قيمة أي ثابت للمتغيرات التي تتضمنها دلالة الجملة))[١] . بعيدا عن بلاغة المفردات، وإنما هي بلاغة نصية كما يعبر هرمان باريه[٢] .

---

(١) القاموس الموسوعي للتداولية: ٩٠.
(٢) ينظر: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، مجموعة مؤلفين، ترجمة صابر الحباشة: : ٢٣٣.

- الدلالة: أي دلالة الجملة البنيوية، القائمة على الاستدلال.
- الحجاج: بحسب المفهوم الديكروي، على أساس الروابط، والعوامل، والسلالم الحجاجية، والمواضع. وقد يشير الدكتور مؤيد صوينت إلى العلاقة بينهما: ((وتجسير العلاقة بين التداوليات المدمجة والحجاج، أدى إلى استرفاد الحجاج فعلا ينضوي تحت مقاربات استدلالية، يؤتى به لغرض حمل المتلقي على تغيير قناعاته أو زيادة توكيدها، [لاسيما] في التحاقلات الخطابية))(١).
- السياق: ويقارن هرمان باريه بين نوعين من السياق، الأول يسميه الوظائفية القصوى، التي تقصي مقولات جومسكي، وسوسير، والنوع الآخر الوظائفية المعتدلة التي تعتمد على السياق بأخف من ذلك ((أما الوظائفية المعتدلة التي أفضلها بوصفها أساسا للتداولية المدمجة فتقر في الوقت ذاته بدعامة المسار التواصلي النفسية، والاجتماعية كلها (البنية النفسية الاجتماعية المتطابقة للمتخاطبين وعموم الأهداف والوسائل في صورة تحقيق الغرض من التواصل) كما تقر ضرورة وجود كفاءة أو معرفة نظام القواعد))(٢) .
- القصد: ويكون القصد في التداولية المدمجة ما يدور في ذهن المتكلم، هكذا يوضح الدكتور مؤيد صوينت بما ينقله عن حافظ اسماعيلي علوي في كتابه التداوليات علم استعمال اللغة: ((إن فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم))(٣).

سمات التداولية المدمجة:

- النقد ، والمراجعة للتصورات التداولية السابقة، التي وضعتها التداولية الخطية، التي ترى أن التواصل يحدث على أساس الدلالة: دلالة العلامات بمرجعها في الاستعمال، والتركيب القائم على قواعد تركيب الجمل، والتداولية، التي تهتم بقضايا الاستعمال

---

(١) التداولية المدمجة بحث في المفهوم، د. مؤيد عبيد صوينت، بحث منشور في كتاب انتظام المعرفة اللغوية، تنسيق مؤيد ال صوينت ود.خالد خليل هويدي: ١٨.
(٢) لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية : ٢٣٢.
(٣) التداولية المدمجة بحث في المفهوم : ٤ .

اللغوي، فقد اقتنع ديكرو بأن هذا التصور لا يقدم حلولا أثناء التواصل، كونه يهمل الروابط والدلالات في الخطاب، فاترح دمج الدلالة بالتداولية، وربما يريد بالدمج التماهي بين المكونات الدلالية، والبلاغية، والمقام.

- التزواج، وربما ينظر بعض البنيويين الأشد خصومة للوظيفية الحديثة أن هذا التزاوج تناقضا، لكون التداولية المدمجة تجمع بين الهاجس البنيوي للغة، والهاجس التواصلي لها في وقت واحد. ولا يوجد وجه حق لدحض هذا التزاوج؛ كون التداولية المدمجة لا تنادي بالبنية المجردة للغة، ولا بالوظائفية العميقة كما يقول هرمان باريه، بل بالوظائفية المعتدلة، والطفيفة.
- اشتغالها على تحليل الخطاب، أكثر من اشتغالها على الجملة/ كما يحدث في تداولية الفعل الكلامي، فمن أهم ما وجه من نقد لها، كمونها في الجملة، إلا أن ديكرو عكس ذلك، يتساوى الحجاج عنده والحجاج عند بنفينست، في تحققه عبر اللغة التي تكون قبل التلفظ، بل تصبح اللغة بعد التلفظ بمنزلة الخطاب الي يستهدف متلقيا، كما يفرق بنفينست بين اللغة/ النظام من الأدلة، واللغة/ الممارسة، التي يضطلع بها الفرد، فصار ذلك أساس تحليل الخطاب عنده(١) .
- التوليفية فيها، إذ تستحضر عددا من المفاهيم التداولية، السابقة، والمبتكرة عند ديكرو، ومن أبرز تلك المفاهيم: الإنجازية، والاقتضاء، والحجاج، وبعض المفاهيم غير التداولية نحو مفهوم البنيوية كما مر.

ومن المهم جدا استطلع علاقتها مع الفعل الإنجازي، إذ يظهر أنه لم يحضر بصورته المتكاملة كما طرحها اوستين وسيرل، وغيرهما، من جهة الأركان، والأصناف، بل من جهة الفعل الإنجازي غير المصرح به، فليس يدرس ديكرو أصناف الكلام، كما هو الحال عند بعض الدارسين العرب، لمنزلة الفعل الكلامي في نظرية التداولية المدمجة

(١) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، العدد ٢، مج ٤، ٢٠١١م: ٨٥ .

او فـي الحجـاج اللغـوي، وحـاول ديكـرو أن يضـيف إلـى هـذا الفعـل الإنجـازي فعلـي الاقتضاء، والحجاج، فكل فعل إنجازي مضمر، يستبطن حجة تفهم من السياق، مثلا قولهم الامتحان سهل لكن الوقت لم أدركه، فالفعل المنجز، أنه خبر دال على التعجب، يطوي فيه حجة دالة على تميزه، وانهماكه بالكتابة الكثيرة، بحسب ما تجود به قريحته، وذاكرته.

- التأويليـة، يمكـن عـد نظريـة ديكـرو المدمجـة تداوليـة تأويليـة بـلا نقـاش، إذ ينطلـق لفهـم الخطـاب، عبـر الإنجـاز المصـرح، وغيـر المصـرح بـه، وهـذا الثـاني لا يسـتكنه إلا باستحضـار الافتراضـات المسبقة، المعدة قبل الـتلفظ ، ومعرفـة تقنيـات الإضـمار فـي النص، وهذه عملية تأويلية بدقة.

المبحث الثالث :الغموض في مفهوم التداولية المدمجة

لم تنل التداولية المدمجة حظها الكامل من الدراسة، والبحث، والترجمة، فصارت شبه غامضة في التفكير العربي والعراقي خاصة منه، وثمة أسباب فضلا عما ذكرت:

- قلة الدراسات المترجمة حولها، فلم تتجاوز البحوث هنا وهناك.
- ورد ذكرها ممزوجا مع الحجاج اللساني، مع أنها تفيد منه، فصار الذهن ينصرف إلى المساواة بينه والتداولية المدمجة، ومن ذلك ما قدمه الباحث حسين بو بلوطة، إذ وضع عنوان فقرة (التداولية المدمجة) وأخذ يوضح مفهوم الحججا الديكروي، وفي آخر المطاف وضح التداولية المدمجة باختصار، مع عدم التفاته إلى الفرق بينهما أو العلاقة، بل ترك الأمر سائبا[١] .
- وهنالك من يفرد لها مساحة ضمن نظريات الحجاج، ويقدمها بلباس الحجاج اللساني، وهذا ما فعله الباحث عيسى تومي، ثم يأخذ بالتعريف بها، ويلخص أهم أفكارها، من جهة رفضها للوصفية، ومزجها بين الدلالة والتداولية، يصل إلى عرض الرؤية الحجاجية عند ديكرو وانسكومبر من جهة الروابط الحجاجية والعوامل، والسلالم، تاركا حبل العلاقة بينهما غفلا، ولم يشرح الجهة العلائقية بينهما، ولم يروزها[٢] ، تلك العلاقة التي ينتدبها ديكرو، وينوه عليها، ويتبناها جواد ختام بقوله: ((فإن ديكرو هو الآخر يؤكد أن الروابط الحجاجية المبثوثة في تضاعيف الاستعمال اللغوي، تستبطن سمات تداولية متعددة لا سبيل إلى تجاهلها، بالاقتصار فقط على المحتوى القضوي للملفوظات، أو بنيتها الاستدلالية))[٣] . وهذا ما عملت به الدكتورة رشا حسين عبيد في اطروحتها للدكتوراه، إذ بحثت في الحجاج، وعرضت له ببعض من النظريات

---

(١) ينظر: الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بو بلوطة رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠١٠م: ٨٥- ٦٠.

(٢) ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، عيسى تومي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيصر – بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥م: ١٢٢- ١٢٤.

(٣) التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام: ١٣٣.

باختصار، وصولا إلى الحجاج اللساني عند ديكرو، ثم نوهت بأهمية التداولية المدمجة، ونوعية تناولها اللسانية، مع عدم تعليقها عليهما، من جهة الاختلاف، والاتفاق، والعلاقة، بل يمكن أن اتخيل موقفها جاء عن قناعة، بل يسايرني الشك أنها تماشت مع عيسى تومي تماما في التماهي، والتساوي[١] .

- يعد أبا بكر العزاوي أول من تبنى حجاجيات ديكرو اللسانية، واختص بها من بين العرب، وقد اقتطع هذه الحجاجيات اقتطاعا من التداولية المدمجة، وقدمها مستقلة عن التداولية المدمجة، فاشتهر وعرف في الكتابة العربية استقلالهما أو تساويهما، فقد اطلعت على كتبه الثلاثة، التي عرض بها الحجاجيات اللسانية، وهي كتاب اللغة والحجاج، الخطاب والحجاج، من المنطق إلى الحجاج، فضلا عن بحثه (الحجاج والمعنى الحجاجي) المنشور في كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، فلم يرد ذكر التداولية المدمجة أو أي تصور عنها.
- التعمية، التي غلبت على عرض اللسانيين للتداولية المدمجة، فلم توضح تلك الدراسات طبيعتها بالتفصيل، خذ مثلا القاموس الموسوعي للتداولية، ومحاولة هرمان باريه في كتاب لسانيات الخطاب الاسلوبية والتلفظ والتداولية، الذي أعده صابر الحباشة، فلم يبينا كيف تكون الدلالة بالتفصيل، وكيف تكون البلاغة بالتفصيل، وكيف يكون السياق! وقد أومأ الدكتور مؤيد صوينت إيماءة بسيطة لتوضيح البعد الدلالي فيها بقوله: ((فالمكون اللغوي هو محل تطبيق التعليمات المتصلة بـ(اللفاظم): الفونيم. وسائر الوحدات المعجمية))[٢] .
- الخلط بين مقولات التداولية المدمجة ومقولات تداولية الفعل الكلامي عند أوستين وسيرل، ولاسيما في جزئية مهمة مفادها أنها انحدرت من نظرية الفعل الكلامي، وهذا

---

(١) ينظر: آيات الأعراف والتقاليد دراسة في الحجاج اللغوي والفعل الكلامي: ١٠- ١١.
(٢) التداولية المدمجة بحث في المفهوم : ٣.

ما وقع به بعض الباحثين، فصار يدرس أصناف الفعل الكلامي في التداولية المدمجة، ومنها دراسة الدكتور مشتاق عباس معن في كتابه الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية الكريم مقاربة تداولية المدمجة في ضوء علم الدلالة المقامي، وقد اعترف بتوليفة البحث عبر خمس متواليات: ((وتأسيسًا على ما ذُكِر، سنعمد إلى إضافة توجّه آخر لمجموعة التوجهات التي أشرنا إليها من منظار مدمج يجمع بين خمسة حقول : المصاحبات المعجمية Collocations. التداولية Pragmatics. الحجاج argumentation.علم الدلالة المقامي Semantics Situational. الأداء الصوتي Acoustic performance. ذلك أن ديدن المناهج ما بعد الحداثة الجمع بين الحقول التي لها صلة ؛ لبلوغ التكامل في عملية الكشف، ذلك النسق المنهجي الذي بات يسمى في مسيرة فلسفة العلم بـ " فلسفة الأنساق Philosophy System " التي جاءت بديلة لفلسفة العلم التقليدية المعروفة بـ " فلسفة الذرات Philosophy atoms "))[١] . في وقت لم تتضح التداولية المدمجة، وليس من حق أحد في هذا الوقت أن يغير من مفاهيمها، بناء على معنى الدمج العام.

- عدم الانتظام، والتدقيق في تقديمها، إذ في الوقت الذي يحتاج المتلقي العربي أن يبقى مسيطرا على فكره عند قراءة ما يخصها نجد الأستاذ بلخيري عبد المالك من جامعة الجلفة يسهب ولا يسيطر على قلمه، فقد وزع ذاكرته خارج عنوان بحثه الموسوم (التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية)، فأخذ يستطرد في تعريفات التداولية بصورتها العامة، والأسس التي نبعت منها، ثم علاقتها باللسانيات والدلاليات، حتى

---

(١) الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية الكريم مقاربة تداولية مدمجة في ضوء علم الدلالة المقامي، د.مشتاق عباس معن: ٤.

وصل إلى آخر البحث، ووضع فقرة للتداولية المدمجة، وأخذ يقارنها مع مفهومي الكفاية والإنجاز عند جومسكي، وما ترك إلا نصف صفحة لها، معرفا إياها[١] .

من فصل بين التداولية المدمجة والحجاج اللساني؟

حاول الدكتور شكري المبخوت أن يضع الحدود الفاصلة بين التداولية المدمجة والحجاج اللساني، مع إيمانه بأنها من منتجات ديكرو وانسكومبر، فقد وضع الأمور في نصابها وأكد أن التداولية المدمجة ترتكز على البلاغة، والدلالة، والمقام، وينفتح المرتكزان الأساسيان على العوامل والروابط الحجاجية ليتم ايضاحهم ويكتمل دورهم في تحديد المعنى، فيجمل القول في التداولية المدمجة ((فالتداولية المدمجة في الدلالة هي بحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية لا القيمة الوصفية التمثيلية أي ما يعبر عن حالة الأشياء في الكون، لضبط شروط استعمالها، إذن فالموقف المبدئي للتداولية المدمجة هو أن اللغة تحقق أعمالا لغوية وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون. وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون))[٢] ، ثم يخلص الى النتيجة المهمة أنه يحلل القول بحسب التداولية المدمجة على الربط بين المكونات اللغوية والمكونات البلاغية عبر بعض الروابط، التي تسهم في تأويل المحتويات[٣] .

ثم يفرد عنوان فقرة من بحثه بعنوان: موقع الحجاج من التداولية المدمجة، يؤكد فيه الفرق بينه والتداولية المدمجة، التي قامت على المكون الدلالي والبلاغي، والسياقي، عن الحجاج ذي التوجه الأحادي، المسجل في بنية اللغة ذاتها، وليس المرتبط بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية[٤] .

---

(١) ينظر: التداولية المدمجة مقاربات في النظرية والمنهج، الأستاذ بلخير عبد المالك، بحث منشور ضمن مجلة تاريخ العلوم، مركز ودود للفهارس، جامعة حلب، العدد ٨، الجزء ١، ٢٠١٧م: ١١٨.
(٢) نظرية الحجاج في اللغة: ٣٥٤.
(٣) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٥٤- ٣٥٥.
(٤) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٦٠- ٣٦٢.

ويفرد الدكتور باسم خيري جزئية أخرى بعنوان: دور الحجاج في التداوليات المدمجة، ولو أني اتحفظ على التزامه مصطلح التداوليات! فقد أفصح عن لسانية التداولية المدمجة، التي لا تؤمن بالتصور الوصفي، بل تؤمن بالمؤشرات اللغوية في التلفظ، وتبتعد عن الوظيفة الإبلاغية، وتفيد من الحجاج بالمعنى الفني، وهو هنا يتابع جاك موشلار في توصيفه بالتمام، ويفيد التحليل التداولي من هذه الحجج الفنية، فيقول: ((أما في الحجاج اللساني فالعلاقات الحجاجية التي نجدها في الخطاب الحجاجي مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، ...وكذا فإن توجه الحجاجيات اللسانية كالقوة الحجاجية ، والتوجه الحجاجي، والقصد الحجاجي، والمقدمات المضمرة، والسلم الحجاجي[١] ، مفاهيم لا يمكن الاستغناء عنها أثناء وصفنا للملفوظات))[٢] .

- المحاولة الثالثة التي فصلت بينهما، محاولة جواد ختام، إذ أفرد مساحتين من الحديث الأولى للتداولية المدمجة، ومتعلقاتها، ثم للحجاج اللساني، مع تنويه في طيات الحديث عن حاجة المدمجة للحجاج.

---

(١) كلام يبدو أنه للدكتور رشيد الراضي، إلا أن الدكتور لم يشر إلى مصدره!
(٢) الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة، الدكتور باسم خيري:٣٦.

الفصل الرابع

الحجاج والإقناع والتّداولية التّصوُّر والعلَاقة

المبحث الأول : التصور

سأعرض تصورًا بسيطًا عن هذه الثلاثية المتلازمة، والمتغايرة في الوقت نفسه؛ ليكون هذا التصور عاملَ انطلاق في إرساء دعائم العَلَاقة القائمة بينها، وستتضح المشتركات التي توظف في العملية الخطابية على تعدد بيئاتها، وموضوعاتها.

بالرجوع الى المعنى المعجمي للفظة الحجاج يتضح معنى الجدل، والمنازعة، والغَلَبة[١] ، وفي تعريفه، ومفهومه يذكر عبد الله صولة ثلاثة مفاهيم له: ((مفهوم يجعله مرادفًا للجدل، ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال)، ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب، وهو مفهوم أدق، وأوضح، وأعمق من المفهومين السابقين؛ ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئًا فشيئًا في الاستواء مبحثًا فلسفيًا، ولغويًا قائم الذات في العصور الحديثة مستقلًا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية أخرى))[٢] .

تستبطن هذه المفاهيم انتشار موضوع الحجاج في مساحات فكرية عدة سأرجئ الحديث عنها، وتستبطن أيضًا انتشاره في البيئات المتنوعة والمختلفة في الحضارة العربية، واليونانية، والغربية، والسبب في ذلك الأهمية العالية التي يتمتع بها؛ لأنه ضرورة معرفية، وسبيل من سبل تحصيل الحلول اللازمة للخلافات بين الجماعات ذات المعتقدات، والأفكار الحقيقية أو الخيالية[٣] .

بدأت النشأة الحقيقية للحجاج على يد الفيلسوف القانوني شايم بيرلمان بعد أن استشْعر البعد المدرسي في البلاغة القديمة، فأحدث منعطفًا جديدًا في دراسة البلاغة في ضوء أفق التواصل وخارج حدود النص الأدبي، أي في المجالات التي تحتاج الى

---

(١) ينظر: لسان العرب (ٱبن منظور): حجج: ٤/ ٣٨.
(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٨- ٩.
(٣) ينظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي (دكتور محمد عديل عبد العزيز) ١١٣.

تغيير قناعات معينة، فقام الحجاج على ((دراسة التقنيات الخطابية التي تتيح إثارة أو زيادة إذعان العقول للأطاريح للحصول على التصديق))[١] .

وهذا المنزع الحجاجي كان حاضرًا في المنظومة البلاغية العربية القديمة؛ إذ وجدت بعض بواباته ولاسيما المجاز، والاستعارة، والكناية، ورد الصدر على العجز، والمذهب الكلامي وغيره مما يحمل شحنات حجاجية بما يمكنك من القول بأن البلاغة العربية عمل حجاجي، إلا أن النزعة المعيارية على البلاغة آنذاك غطت على النزعة الحجاجية، ويتزامن معها انشغال العرب بالبحث عن بلاغة النظم القرآني وإثبات إعجازه البلاغي بعيدًا عن سبل التوظيف الحجاجي كما تعورف عليه في العصر الحديث، وحاول فرز خيوطه عما اختلط به وهو الجدل، والبرهان، والاستدلال بطبيعة الحال يقوم الجدل على الخصومة والتعنت، ويقوم البرهان على البرهنة التي تنتمي إلى الجنبة المنطقية التي يتضافر معها الاستدلال القائم على الاستنتاج مما يجعل الحصيف يقر بأن هذه المفاهيم تختلف عن الحجاج المنطلق من البعد البياني، والانتماء اللساني مع الإفادة قليلا من النفَس العقلي الذي يؤهله لأن يكون أوسع من تلك المفاهيم في منطقة التحاور والتفاوض، ووقت إقناع المتلقي ببعض الحقائق، ووجهات النظر.

يتسم الخطاب الحجاجي بالشمولية، أي إنه منفتح على العلوم جميعها، وتوصف مقولاته بأنها غير تخصصية، ويتمتع كل حجاج بقصد يحاول إيصاله في لحظة تلق معينة من أجل تقويم سلوك ما أو إقرار حقيقة علمية، أو غير ذلك مما يستدعي الجزئيات اللسانية والبلاغية، بل يصل الأمر إلى عقد صلة مع العواطف كما نوَّه به أرسطو حينما حاول أن ((يسند الى العواطف دورًا في الحجاج ويجعل منها عنصرًا إن أحسن الخطيب توظيفه تمكن من التأثير في جمهوره والانتصار للقضية التي يدافع عنها))[٢] .

---

(١) الحجاج في التواصل (فيليب بروتون): ٢٢- ٢٣.
(٢) منزلة العواطف في نظريات الحجاج (دكتور حاتم عبيد): مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، : ٢٤٠.

ولا يخفى تنوع الخطاب الحجاجي في النص بين المساحة البنيوية والتواصلية، والحس المنطقي، والفلسفي مضافًا إلى ذلك الفضاء التأويلي الذي يدعو إليه القصد المحمل به النص على وفق التغطية البلاغية الجديدة، تلك التصورات نجدها موزعة على نظرياته التي أنتجها البحث اللساني الحديث، فلو رجعنا الى تصورات شايم بيرلمان وزميلته سيتضح البعد البلاغي والمنطقي في تقنياته الحجاجية.

ينجلي البعد البلاغي في التكرار، والتقسيم، والمثل، والتمثيل[١]، وينبري البعد المنطقي في الحجج شبه المنطقية: حجة التناقض وعدم الاتفاق، والتماثل، والعدل، والتعدية، والنموذج، وإدماج الجزء في الكل[٢].

ومن يطلع على ملخص نظرية ديكرو وانسكومبر سيتجلى البعد البنيوي بامتياز؛ إذ تنطلق من المسار اللغوي في تسجيل الإقناع، فهي قامت على السُّلَّم الحجاجي الذي يعني ترتيب الحجج[٣] من جهة الأهم فالمهم فيها عن طريق أدوات الوصل، وقامت على العوامل الحجاجية التي منها أحيانا، وغالبا، وتقريبا وغيرها، والروابط الحجاجية وهي بل، لكن، ولاسيما، حتى، إذ، لأن، والواو، والفاء، وغيرها[٤].

وقد وصفت نظرية تولمين الحجاجية بالتصور البرهاني، الذي قام على المعطى، والنتيجة، والضمان، وتتضح هذه الثلاثة من المثال الآتي: (علي تونسي، إذن هو ليس شيعيا؛ لأن أغلب التونسيين ليسوا شيعة). فالمقطع الأول يمثل المعطى، والمقطع الثاني يمثل النتيجة أما المقطع الثالث القائم على البرهنة، فهو الضمان بأن غالب

---

(١) ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه (عبد الله صولة)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣١٨- ٣٣٨.

(٢) ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه: ٣٢٥- ٣٣٠.

(٣) ينظر القاموس الموسوعي للتداولية (جاك موشلر، آن ريبون): ٢٩٨.

(٤) ينظر: اللغة والحجاج (د. أبو بكر العزاوي): ٥٥- ٥٦.

التونسيين ليسوا شيعة. وقد يفترق الضمان عن المعطى من باب أنه غير مصرح به أي جاء ضمنيًا عكس الحال مع المعطى المصرح به[١] .

يلحظ على نظرية بيرلمان الغطاء البلاغي_المنطقي، والغطاء اللساني على نظرية ديكرو، والغطاء المنطقي على نظرية تولمين، وهذا ما دعا عبد الله صولة إخراجها من نظريات الحجاج بقوله: ((لكن اللافت للانتباه في نموذج تولمين الحجاجي هذا أنه ويا للمفارقة! غير حجاجي إذا اعتبرنا أن الحجاج يرمي دائما إلى إقناع الغير، وإنما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق))[٢] ، ولعله هنا غير محق للعلاقة الوثيقة بين اللسانيات والمنطق، إلى أن نصل إلى غطاء جديد لدى مايير في نظرية المساءلة وهو الغطاء البلاغي التأويلي القائم على الإفادة من المجاز مع ولوج المتلقي الى الفضاء التأويلي في لحظة السؤال من قِبَله، بناء على بعض المنطلقات الفلسفية التي تندرج في الإسهامات التنظيرية المعاصرة لدراسة اللغة ووظائف الكلام[٣] .

إن توافر اللمسة المنطقية والفلسفية على النظريات الحجاجية لا يعني عدم ألسَنَتِها وعدم الرضا بما يسمى باللسانيات الحجاجية؛ لأن المفهوم الدقيق للسانيات هو الدراسة العلمية للغة ولا مبرر لإبعاد تلك اللمسة من جانب اللسانيات التي أصبحت لا تؤمن بالحدود والفواصل بين العلوم وهذا ما يميزها من علم اللغة أو الدراسة الفيلولوجية. والذي نعنيه بلسانيات الحجاج، المنظومة اللسانية التي تدرس الخطاب من جهة القصد، والمعنى، والنص في ظروف التواصل مع امتلاك استراتيجيات خطاب تؤهل النص لبلوغ ذهن المتلقي، وتغيير بعض من قناعاته أو فرض قناعات جديدة.

تحدث هذه القناعات بفعل أساليب، وأنماط، وبنى لغوية، جمعت تحت مقولة سميت (الخطاب الإقناعي) الذي ينطلق من استراتيجيتين هما استراتيجية الخطاب،

---

(١) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٢٢، ٢٣، ٢٥.
(٢) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٢٦.
(٣) ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج (د. عبد السلام عشير): ١٩٨.

ولسانيات الخطاب، ومعنى الأولى الطرائق التي يستعين بها المتكلم خارج إطار النص مما يتوقف على الايتوس والباتوس، ثم لسانيات الخطاب التي تتوقف على اللوغوس.

بظني أن ارتباط الإقناع بالحجاج وبالتداولية أبعده عن ضرورة ما يسمى بلسانيات الإقناع؛ لأنه يعد بمثابة النتيجة النهائية للحجاج، وبعرض تصور موجز عن الإقناع سيتضح ما قلته.

يدل لفظ قنع في المعجم العربي على الرضا، والميل، والقناعة[١] ، وهذا المدلول الاكتفائي القائم على القناعة والتأثير يتوافر نفسه على معنى الإقناع في التعريف اللساني لدى توماس شايدل؛ إذ قال فيه: ((بأنه محاولة واعية للتأثير في السلوك))[٢] بتوظيف عام لسبل يحدث عن طريقها الإقناع، يُفهَم منها التوظيف اللساني وغير اللساني، وهذا ما يشي به التعريف الآتي له: ((استخدام المتحدث أو الكاتب للألفاظ والإشارات التي يمكن أن تؤثر في تغيير الاتجاهات أو الميول والسلوكيات))[٣] .

وبتحليل مختصر من التعريفين السابقين بغض النظر عن التعريفات الكثيرة للإقناع يتضح أنه محاولة حوار أو الخروج بنتيجة بناء على غرض يتغيَّاه المتكلم بعد تأثيره بالسامع، واستعماله الأدلة المتعددة سواء أكانت اللسانية أو غير اللسانية نحو العاطفة والخيال وهذا ما يفرقه عن مدلول الاقتناع الذي يكون باعتراف الخصم عند إقامة الحجة عليه في نظر الدكتور جميل صليبا[٤] .

وقد يختفي هذا الفرق ويتلاشى في تصورات المحدثين عن الإقناع؛ إذ يقوم على سرد الأدلة وهذا ما يقربه من الحجاج، فقيل فيه: ((يعد الإقناع إحدى جهات القول الأساس للتواصل، الذي يكون القصد منه إما التعبير عن إحساس، أو عن حالة، أو عن نظرة فريدة إلى العالم، أو إلى الذات، أو يكون القصد منه الإخبار أي وصف موقف معين على نحو أكثر موضوعية، أو يكون القصد منه أيضا الإقناع بواسطة أدلة

---

(١) لسان العرب (قنع): ١٢/ ٢٠١- ٢٠٢.

(٢) النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع (د. محمد العبد)، بحث في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته:٢/ ٤٥.

(٣) الإقناع في القرآن الكريم دراسة في النمط والأسلوب (محمد جاسم حنون)، رسالة ماجستير: ٢.

(٤) ينظر: المعجم الفلسفي(د. جميل صليبا):١١/١. و:أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي(طه عبد الله السبعاوي): ١٥.

تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما))[١] . وصرح بهذه النظرة الحجاجية المختفية أوليفي روبول أيضا بقوله: ((دفع أحد ما إلى الاعتقاد بشيء ما))[٢] .

وبالتحري أكثر فأكثر نجد أن مدلول الإقناع مدلول تواصلي، ومن إفرازات منهج تحليل الخطاب، وهذا يجعلك مقتنعا بانه بؤرة خطاب تتمتع برحابة تفيد من القصد، واللغة، والموقف، والتفسير لإضفاء مشروعية التواصل، وهذا ما يلحظ في كلام الدكتور حسن المودن: ((وفي تحليل الخطاب ينظر إلى الإقناع على أنه نتاج سيرورات عامة من التأثير، فالخطاب الإقناعي هو خطاب تم بناؤه بقصد الإقناع أي بقصد التواصل والتفسير، وإضفاء المشروعية على وجهة نظر ما، واقتسامها، إن لم يكن القصد إقصاء خطابات منافسة من أجل الهيمنة))[٣] .

هذه مجمل التصورات عن مفهوم الإقناع الذي اهتم به الفلاسفة نحو افلاطون، وتلميذه أرسطو، وعلماء البلاغة العرب نحو الجاحظ ت٢٥٥هـ، والسكاكي ت٦٢٦هـ.

ويظل التساؤل حول طبيعة ذلك التناول للإقناع؟ فقد قسمه افلاطون على نوعين، نوع يعتمد العلم، وآخر يعتمد الظن، ففي محاورة (قورجياس) حلل موضوع الخطابة في ضوء العلم والظن، ويذهب إلى أن الإقناع نوعان، نوع يعتمد العلم، وآخر يعتمد الظن، وهذا ما أفاد منه السفسطائيون، ويكون النوع القائم على العلم مفيدا؛ لأنه يكسب الإنسان نوعا من المعارف، على عكس النوع القائم على الظن لا يولد معارف، بل يولد اعتقادات[٤] .

وأفاض أرسطو في تفصيل الإقناع، وجعله مساويا للخطابة بقوله: ((يمكن أن نحدّ الخطابة بأنها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان))[٥] . وعنده أن الفنون جميعها لها حاجة لهذا الفن ((بل كل واحد من الفنون إنما هو قادر على أن

(١) الحجاج في التواصل: ١٨.
(٢) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب : ٢٤.
(٣) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ٢٢.
(٤) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر (د. محمد سالم الأمين):٢٧.
(٥) الخطابة: ٢٩.

يعلـم ويقنـع فـي مجـال موضـوعه الخـاص: فالطـب مـثلا يتنـاول الصـحة والمـرض، والهندسة تتناول خواص المقادير...))[1] .

وقد نوه بأن الإقناع يحدث بوسائل ثلاث هي الايتوس، والباتوس، واللوغوس. يتوقف الايتـوس علـى أخـلاق القائـل، واستشـعار الثقـة، ويتعلـق البـاتوس بحالـة السـامع الـذي يقتـرب مـن الاقتنـاع، ويبتعـد عنـه بنـاء علـى إثـارة مشـاعرهم مـن عـدمها، وبنـاء علـى توظيف اللوغوس والإفادة من الحجج المناسبة للحالة المطلوبة.

وقد ركـز القـول علـى صـفات الشـخص المُقنِـع، والأهـم فيـه ((أن يكـون قـادرا علـى التفكير المنطقي، وعلى فهم الخلق الإنساني والخير في مختلف أشكالهما، وأن يفهم الانفعالات، أعني أن يسميها، ويصفها، ويعرف أسبابها والطرق التي بها تستثار، وهكذا يظهر أن الخطابة فرع من الجدل، وأيضا فرع من علم الأخلاق))[2] .

مما يظهر على الفيلسوفين أنهما قاربا بين الحجة والإقناع وبين الجدل والإقناع وبين الإقناع وعلم الأخلاق، فضلا عن الاستثمار اللساني في مقولة أرسطو الثالثة، وهي اللوغوس، وقد يكون هذا التفصيل مختفيا نوعا ما في بلاغة الجاحظ أو من جاء عقبـه السـكاكي، فيشـير الأول الـى الغايـة الإقناعيـة مـن البلاغـة المتأتيـة مـن البيـان ((والبيان ٱسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله...لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع))[3] .

وقـد حـاول أن يجلـي صـفات الخطـاب المقنـع بابتعـاده عـن الوحشـي والسـوقي، وبالابتعاد عن المعنى الحقير الفاسد، والدَّني الساقط، تجنبا لاستفحال الفساد، وتمكن الجهل[4] ، وأتم الأمر بالإشارة إلى صفات المقنِع فيما نقله عن سهل بن هارون عن طريق الموازنة بين خطيبين أحدهما جميل، بهي، لبَّاس، ذو حسب وشرف، والآخر

---

(١) الخطابة: ٢٩.
(٢) الخطابة: ٣٠.
(٣) البيان والتبيين (الجاحظ): ١/ ٧٠.
(٤) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٧٦.

ذميم، خامل الذكر، وتكلما في موضوع واحد من البلاغة، وفي مستوى خطابي واحد لكانت القلوب والأنظار أميل الى الأول من الباذّ الهيئة، ويتضاعف حسن كلامه في صدورهم[١] .

وربط السكاكي بين البعد الإقناعي ومناسبة المقام للمتلقي ((ومن خلال الاهتمام بالمقام والمستمع يكون السكاكي قد ربط البلاغة بمناسبة المقام والأحوال، وبالتصرف في القول حسب المقاصد، وبذلك فبلاغة تقوم على التصور القصدي هي حتما بلاغة إقناعية؛ إذ تصنف على أساس مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فتحمل بذلك ملمحا إقناعيا))[٢] .

وإذا صرت إلى الموازنة بين البلاغة الأرسطية والعربية من الجهة الإقناعية، ستكون النزعة الإقناعية أوضح وأجلى لدى أرسطو مع روح التحديد والتخصيص فيها عكس الشمولية والعموم لدى الجاحظ، فقد ذاب الوجه الإقناعي في حنايا البلاغة وصولا الى الخطاب الإقناعي في العصر الحديث الذي حاول تبيين الأطر العامة له، وتسجيل شروط ذلك الخطاب التي يمكن إجمالها في[٣] :

١- صياغة الخطاب بلغة مشتركة بين طرفي الخطاب.
٢- الخلو من المغالطات لبلوغ النتيجة المثلى.
٣- توفير الأدلة لإثبات الدعوى.
٤- الابتعاد عن روح القمع والإكراه.
٥- تجنب الغموض، والاقتراب مما يقبله العقل. وهذا ما أشار إليه الجاحظ.
٦- امتلاك الكفاءة الإقناعية العالية ومهارات التواصل التي منها السيطرة على الضبط الانفعالي.

وقد ذكر عبد الهادي الشهري أسباب اللجوء إلى استراتيجية الإقناع[٤] :

- تأثيرها التداولي في المرسل إليه.

---

(١) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٧٨.
(٢) الإقناع في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب والنمط: ١٠.
(٣) لخصت تلك الشروط من الإقناع في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب والنمط: ٤- ٥.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٤٥- ٤٤٧.

- تميزها من الإكراه.
- تنامي الخطاب فيها باستعمال الحجج.
- اتساع ظلها في الطبقات كلها وهذا ما أشار إليه أرسطو.
- تجنب سوء التأويل.
- عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل وغيرها من الأسباب.

وما ينتمي الى فضاء الإقناع ليكتمل التصور عنه خصائصُ ذلك الإقناع، وأول خصيصة فيه هي السرية، ومعناها ممارسة وسائل الإقناع بشكل خفي بلا علم المتلقي بها، وقد تضم وسائل الإقناع لسانيات الخطاب، التي يضاف إليها وسائل الاغراء[١] ، وسماها الدكتور عبد السلام عشير فن الاغواء ((وهو أسلوب يتجه نحو مخاطبة العاطفة ترهيبا وترغيبا))[٢] ، ومثال الإغراء أو الإغواء مسك السياسي ليد المواطن مثلا في لحظة موقفية معينة، فسيترك هذا أثرا في نفس المواطن، ويسهم في تغيير قناعته، وهذا المثال يذكرنا بالخصيصة الأساس في الخطاب الإقناعي، وهي مراعاة الحال ((ومعنى ذلك أن مراعاة الحال مبدأ من المبادئ الأساس التي يتأسس عليها الخطاب الإقناعي، ويشدد عليها البلاغيون كثيرا))[٣] ، ومن السهل الحكم على إفادة الإقناع من البلاغة؛ لأنه مقامي وتواصلي وقد أكد هذه الخصيصة بعض التواصليين[٤] .

في ضوء ما تقدم يتضح أن الإقناع يرتكز على أمرين مهمين هما لسانية الخطاب وخارج لسانية الخطاب. المقصود من لسانية الخطاب المتعلقات النصية القائمة على الحجة انطلاقا من المجاز، والمجالات اللسانية كافة، وهذا ما أثبته باديرا جونستون في بحث صغير ترجمه الدكتور محمد العبد[٥] .

وجدير بالذكر أن البنى الإقناعية تتوقف على مسألتين. الأولى: تتعلق بالمسافة الفاصلة بين الصورة الواقعية والصورة الخيالية في الصياغة ((وكلما كانت الصورة

---

(١) ينظر: الحجاج في التواصل: ٢٥.
(٢) عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : ١٩.
(٣) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ٢٩٤.
(٤) ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : ١٩.
(٥) ينظر: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي: ٤٩ وما بعدها، وللاستزادة حول بنائية الإقناع ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ٢٥- ٢٦، ٢٢١، ٢٤٨.

المتخيلة أقرب من الواقع إلا وكانت عنصرا حاسما في التواصل والإقناع))[١] . والمسألة الأخرى امتزاج تلك البنى بالعوامل التاريخية والنفسية فـ((من الأفكار التقليدية أن المرتكزات أو الاستراتيجيات التي يستخدمها المتكلم لإقناع شخص [بشئ] بعينه مقيدة بعوامل نفسية وتاريخية فحسب...الضوابط اللغوية في استراتيجيات الإقناع تعدل تلك العوامل النفسية، والتاريخية في الأهمية))[٢] .

والأمر الآخر الذي يرتكز عليه الإقناع، فهو خارج لسانية الخطاب، والمقصود به الخارج نصي وهو يتصل بحسن الخلق، حسن الأداء، الترهيب والترغيب، حسن المظهر، حسن الصوت وتحسينه، حركات المتكلم كل ذلك وغيره يسمح بالنفاذ الى مناطق المتلقي لتحصيل الإقناع[٣] .

كان الهدف من الخوض في ما يتعلق بالإقناع عرضَ تصور موجز عنه بمنهجية واضحة متماسكة، فكان ملخص التصور أنه يتوقف على اللساني والخارج لساني، وهذه هي خصيصة الحجاج أيضا ومن المدهش أنها الخصيصة الأبرز في المسار التداولي الذي درس تحت مسمى اللسانيات التداولية التي أطمح الى اختصار مفهومها قدر الطاقة؛ لأنها اشتهرت في الدرس اللساني الحديث، فضلا عن أني عرضت مفهومها في الفصل الأول من هذا الكتاب، وفي كتب سابقة عليه لي.

ولا أريد الإسهاب في مناقشة انتماء التداولية الى اللسانيات وعدم انتمائها، وقد طرح سؤال انتمائها من لدن جاك موشلار وآن ريبول: ((هل تمثل التداولية مكونا من اللسانيات أم على العكس من ذلك مستقلة عنها؟))[٤] . وبمراجعة الاشتغالات التداولية قليلا يتضح أنها تقوم على ما قامت عليه اللسانيات من الصوتمة، والصرف، والتركيب، وأُضِيف إليها الاستعمال الذي انمازت به، والفصل ببين هذين المجالين يبعد التداولية عن باحة اللسانيات، و((النظر إلى اللسانيات نظرة ضيقة تقف عند حدود

(١) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ٢٨٥.
(٢) بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي: ٤٩.
(٣) ينظر هذه الخصائص اجمالا في: أساليب الإقناع في المنظور القرآني: ٩٥ وما بعدها، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ١٠٤، ١٠٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.
(٤) القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٣.

المفاهيم البنيوية، وهذه النظرة –بلا شك– لا تسمح للتداولية أن تحقق انتماءها اللساني))[1] .

مهما قيل فيها فالتداولية طرحت نفسها منهجا، ورؤية، ومنطلقا، وفلسفة، فأصبحت نوعا لسانيا مؤهلا لدراسة النص في لحظات التواصل حتى وصل الأمر الى دراسة المكتوب، واعتنى بها الدارسون بدءأ من تعريفها فقيل فيها: ((بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات))[2] ، ولعل حضور مفردة استعمال في التحديد التداولي تعني الجنبة التواصلية التي تتآزر معها الجنبة المعرفية التي يشير إليها تعريف آخر لها، فيقول عنها عبد السلام عشير: ((إن التداولية بصفة عامة هي المعرفة الشاملة بالآخر، والمعرفة العميقة بمكونات عملية التخاطب، أو هي كما يحدها فكوني جزء من العلم المعرفي باعتباره المستوى الوسيط بين العالم الحقيقي أو الفيزيائي وعالم اللغة، وهما عالمان لا يرتبطان بشكل ميكانيكي، وإنما تعمل اللغة على تجسيد سيرورة البناء المعرفي الواسع للعالم))[3] . وقيل فيها: ((اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولا سيَّما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق))[4] .

ويحمل التعريف في طياته المكون الحجاجي، والمكون الإقناعي في الوقت نفسه، للتكفل بمهمة التفسير، وفهم القول بالطريقة غير الحرفية بدل الطريقة الحرفية، التي اهتمت بها البنيوية.

---

(١) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين(د.مرتضى جبار كاظم): ١٨.
(٢) القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١.
(٣) عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ١٨.
(٤) التداولية قراءة في النشأة والمفهوم (د. مؤيد صوينت) بحث في كتاب: التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٣٢.

وثمة مبادئ قامت عليها ومنها الاستنتاج، والاستلزام، والاقتضاء، والافتراض المسبق، والسياق، والتأويل، والصريح والضمني، كل ذلك يتحرك من أجل القصد التداولي المغاير تماما للقصد الوضعي أو الصريح بتعبير أدق.

وبعد أن أذكى البحث فيها موريس ١٩٣٨ في مثلثه المشهور المكوَّن من التركيب، والدلالة، والتداولية توالت فيها المقولات، ومن تلك الأفعال اللغوية لدى جون أوستين، التي أصبحت المحور فيها؛ إذ دافع عن الفكرة القائلة بأن اللغة في التواصل ليس لها أساسا وظيفة وصفية، بل لها وظيفة عملية تقوم على تحقق الأعمال[١] ، وحاول جون سيرل إكمال مسيرته، وتطوير عمق النظرية من جهة الأركان، وأصناف الأفعال، إلى أن أضيفت إلى تلك المقولة الكلامية مقولة كرايس، وسارت بالتوازي معها حينما رأى أن الأقوال التواصلية محكومة بعدد من المبادئ أو القواعد التي منها ندل على عدد من المعاني من دون التصريح بها، وقد طورت هذه القوانين من لدن روبين لايكوف، فأضافت مبدأ التأدب، ومن لدن براون وليفنسن وأضافا مبدأ التواجه، ومن لدن ليتش، وأضاف مبدأ التأدب الأقصى، والدكتور طه عبد الرحمن، وأضاف مبدأ التصديق[٢] .

أولت التداولية للمحادثة اهتماما كبيرا عبر استجلاء الدلالة المضمرة في الخطاب، منطلقة من أن الكلام لا يعني التصريح دائما، فعملت في رؤيتها هذه على البنى اللسانية والظروف التواصلية التي تفيد من الحجة لتصل إلى الإقناع في موضوع ما، وفي مستويات متعددة، وقد تكون هذه المساحة القليلة هدفت الى بيان معنى التداولية، وبيان الآليات التي اشتغلت عليها ليفيد هذا التصور في رصد العَلَاقة بين الثلاثية المسجلة عنوانا للبحث، فهل كانت علاقة تواز، أم علاقة احتواء؟ أي هل كانت البحث في الحجاج بحثا مستقلا؟ وهل كان البحث في الإقناع بحثا مستقلا أيضا؟ أم أنهما من ضمن الفعاليات التداولية؟

---

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٢.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (د. طه عبد الرحمن): ٢٣٨ وما بعدها. ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (د. طه عبد الرحمن): ٢٣٨ وما بعدها.

المبحث الثاني: العَلَاقة

من التوصيف المختصر للثلاثية يكون التداخل واضحا، ويصعب من جرَّائه وضع الحدود اللازمة للفصل بينها، وسأحاول في هذه الفقرة سرد العَلَاقات فيما بين كل منهم، وسيكون على أربع فقرات الأولى علاقة التداولية بالحجاج، والثانية علاقة الحجاج بالإقناع، والثالثة علاقة الإقناع بالتداولية، والرابعة المشتركات بين الثلاثة بصورة إجمالية. وبعد ذاك نجد جوابا لسؤال مفاده هل يمكن النظر الى هذه الثلاثة باستقلال كل واحد منهم؟

ومن العرض الموجز للحجاج وللتداولية تتضح ثمة خطوط رابطة بينهما، لم تكن هذه الخطوط أو الوشائج في لحظة التأسيس التداولي أو أثناء تطوره، إذ لم يشَر إلى الحجاج إشارة صريحة، بل فهمت الإشارة إليه في نظرية أفعال الكلام لاوستين التي قامت على القول، وفعل القول، وفعل التأثير في القول، ومن المنطقي أن التأثير لا يحدث إلا عبر الحجة والإقناع.

وبتطور المسار التداولي والمسار الحجاجي بدأ ديكرو يقرب الحجاج من التداولية، فقال: ((أريد بادئ ذي بدء أن أحدد الاختصاص الذي تنتمي إليه أبحاثي إنه التداولية الدلالية أو التداولية اللسانية))[١] . وبعدها بدأت الأصوات تتعالى للدمج بينهما، فتقول هاجر مدقِّن: ((إن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو من شؤون التداولية pragmatique لخضوع الخطاب الحجاجي في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقي، وتبرز فيه مكانة القصد والتأثير والفعالية، ومنه قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة))[٢] .

وبدأ اللسانيون يوردون نقاط الالتقاء بينهما وهي نفسها آليات الكشف التداولي: الاستدلال، والسياق، والمعنى، والحوارية.

وقيل في علاقة الاستدلال الحجاجي بالتداولية: ((وهكذا إذا كان الحجاج فعلا استدلاليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وإقناعه، خصوصا في الأدوار

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٥.
(٢) الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه: ٧٧.

الخطابية، فإن المجال التداولي يعد مجالا أرحب وأوسع للوصف الاستدلالي للمتكلم والمستمع الذي تدل عليه في الحجة أدوات لغوية خاصة))[1] ، وقيل عن السياق في العملية الحجاجية، وعلاقته بالتداولية: ((وكذلك نجد من المستويات التي تحيلنا إلى البعد التداولي للخطاب الحجاجي مستوى السياق؛ إذ هناك أدوات وتعابير وصيغ تضفي على خطاب ما السمة الحجاجية، وتجعل من الحجاج إما أن يكون ضمنيا أو صريحا، فنجد تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما بباقي الخطاب وبكل السياق المحيط))[2] . ويضيف الدكتور رضوان الرقبي إيقونة المعنى بقوله: ((وعلى هذا الأساس فإن هذا الالتقاء بين الوصف الاستدلالي الحجاجي والمجال التداولي، ينطلق أساسا من تصور المعنى في استثماره لعلاقات متعددة تضم الملفوظ مع ربطه بظروف المقال...))[3] .

ومن أهم نقاط الالتقاء هي المحور التواصلي كون البنى الحجاجي تأتي في ظروف قولية تحاورية الغرض منها خلق التواصل وإذعان المتلقي لفكرة ما، وهذا ما أقره عدد من التداوليين منهم محمد سالم الأمين، وهشام فروم، ورضوان الرقبي، والدكتورة فاطمة داؤد[4] . ومثل ما يفيد الحجاج من الظروف التواصلية، فإنه يعتمد على الافتراض المسبق كما أشار فيليب بروطون[5] . ومهما تدانيا، واقتربا، وتعددت الوشائج بينهما يبقى هذان المنحيان منفصلين عن بعضهما، كل منهما قائم برأسه علما لسانيا، ولا خفاء بأن التداولية تقوم على الجنبة البنيوية والتواصلية، ويقوم الحجاج على الجنبة

(١) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله(د.رضوان الرقبي):مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد٤٠: ٨٦.

(٢) تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا(هشام فروم): ١٠١.

(٣) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٨٦.

(٤) ينظر: بلاغة الحجاج في البلاغة لمعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: ١٧٧، و تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية إنموذجا: ١٠١- ١٠٢، و الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٨٦، و: الحجاج ونظريات التواصل (د.فاطمة داؤد)، بحث في كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ٢٤٤.

(٥) ينظر: الحجاج في التواصل: ٧٣.

البنيوية والتواصلية أيضا، يضاف إليهما الجنبة المنطقية والفلسفية. ويبقى لكل منهما المنهج المستقل والنظريات المنفصلة.

وإذا وصل الحديث للعَلَاقة بين الحجاج والإقناع ستجد الفصل صعبا بينهما، وبعضهما مرتبط ببعض، وقد كثرت الأقوال فيهما، فتقول سامية الدريدي: ((إن للحجاج قوانينه وأحكامه، فهو باعتباره فن الإقناع أو جملة الوسائل المؤدية إلى الإقناع أو الحمل على الإذعان يقوم على جملة من الشروط والقواعد))[١] . فيكون الإقناع في هذه المقولة هو النتيجة النهائية للحجاج، في حين عد الدكتور أبو بكر العزاوي أن للحجاج والإقناع وظيفة موحدة من الخطاب بقوله: ((والخطاب أيا كان نوعه، تكون له وظائف محايدة ومتنوعة: وظيفة إخبارية وإعلامية، ووظيفة جمالية، ووظيفة تفاعلية، ووظيفة حجاجية إقناعية، ووظيفة آيديولوجية وغيرها من الوظائف))[٢] .

وإذا تركنا هذه الأقوال جانبا، وفتشنا عن منزلة الإقناع في تعريفات الحجاج لدى الحجاجيين أنفسهم، سيكون عندنا موقفان. الأول في تعريف بيرلمان وديكرو، والآخر في تعريف مايير.

يجعل بيرلمان الإقناع الأثر المستقبلي للحجاج، فضلا عن إشارته إليه إشارة خفيفة بقوله: ((موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))[٣] .

يفيض التعريف بتصورات فضلا عما ذكرت بأن الإقناع الأثر المستقبلي للحجاج، نتيقن بأن الحجاج يكون عبر التقنيات اللسانية المناسبة للحوار والجدل، والمبادلة، والمحاورة، التي تفهم من مقولته (تؤدي بالأذهان إلى التسليم)، التسليم الكائن وقت المناروة مع المتلقي فارغ الذهن، أو الشاك كما يفهم من مقولته(بما يعرض عليها من أطروحات..أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم).

---

(١) دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم: ١١٧.
(٢) الخطاب والحجاج: ١٩.
(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه: ٢٩٩.

وتفهم تلك الإشارة إلى الإقناع في تعريف ديكرو أيضا عبر جعله نتيجة للحجاج بقوله: ((الحجاج هو أن يقدم المتكلم قولا ق١ أو مجموعة أقوال موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر ق٢ أو مجموعة أقوال أخرى))[١] . وقد يكون ذلك التسليم عن طريق الإقناع ولا شك في ذلك، وهذا الفرز بين هذه التصورات يعزز مقولة الفصل بينهما وإنْ عزز الالتقاء والمساواة بينهما ميشال مايير في تعريفه للحجاج ووصفه بأنه ((جهد إقناعي وبعد جوهري في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه))[٢] ؛ علما أن مايير لديه قول آخر في تعريف الحجاج تكاد تختفي فيه مقولة الإقناع يورده عبد الله صولة : ((الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه))[٣] .

وعلى الرغم من هذا الالتقاء عند مايير إلا أنه تبقى البنى الحجاجية الآلية الأبرز للإقناع[٤] بلحاظ أن ((ليس الحجاج إقناعا مفروضا، وهو ما يفترض قطيعة مع التطويع–أي التأثير القسري– بالمعنى الذي لا يكون فيه التطويع قائما على وسائل الإقناع))[٥] . فضلا عن ذلك أن الإقناع لا يتوافر على بعض أنواع الحجاج ولاسيما الحجاج المغالط القائم على (القوة) ((وبناؤه الحجاجي غالبا ما يكون ضعيفا؛ لأنه احتجاج يسعى صاحبه الى حمل المخاطب على سلوك معين، أو على عمل معين سعيا يستند إلى التهديد، منه يستمد الحجة وعلى أساسه يسأل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الامر شكل الاستسلام فيفعل المخاطب ما أمر به خشية العقاب))[٦] .

وأكد هذه الرؤية ديكرو وانسكومبر بذكرهما لغرض الحجاج وهو ((التأثير في السامع مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما، أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك))[٧] . وقد

---

(١) نظرية الحجاج في اللغة (شكري المبخوت)، ضمن:أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣٦٠.
(٢) الحجاج ونظريات التواصل: ٢٤٣.
(٣) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٧.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٥٦.
(٥) الحجاج في التواصل: ٣٣.
(٦) الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: ٢٠٠.
(٧) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٦.

أشار مايير إلى عدم الإقناع في بعض الحجج لما قسمها على أن ((تكون مقنعة أو غير مقنعة))[١] ، وأخذ الدكتور عبد الله صولة يفسر نصه بقوله: ((ويمكن أن يفسر قوله (أو غير مقنعة) بكون الحجاج لا يكون دائما لغاية الإقناع، فمن الحجاج ما لا يرمي إلى أكثر من جعل الجمهور يدرك الأسباب التي حدت بالمحاج إلى تصور الأمور على هذه الشاكلة أو تلك))[٢] .

يضاف إلى ذلك أن الإقناع يكون غير آني، أي يحدث بعد مدة من الزمن من إلقاء النص الإقناعي، والمثال على هذه الحالة لو تقدم شخص لخطبة فتاة، وأخذت مجالا للتفكير فعندها سيكون الاقتناع- عبر إقناع الفتاة لنفسها_ نتيجة لسلوك بعيدا عن الحجة والاحتجاج، ناهيك عن أنه يحدث أحيانا لدى طرف واحد كما في مثال الفتاة المخطوبة، ثم إنه لا يتوقف على حجة في أحيان أخرى ولاسيما إذا أخذ في الحسبان المنطلق الديني ومراعاة تجنب الضرر، يقول الشيخ طه عبد الحميد السبعاوي في تعقيبه على تعريف الإقناع: ((وهذا التعريف جيد إلا أنه غير جامع ولا مانع لأفراده، فالاقتناع إذعان نفسي، وحالة طمأنينة تسكن فيها النفس، ويخضع فيها سلطان العقل، إلا أن ذلك لا ينحصر في الحجج والبراهين الاستدلالية فقط، كما أنها قد تذعن وتخضع في بعض الأحوال لا لقوة المادة وإقناعها، وإنما أخذا بأخف الضررين))[٣] .

إلى أن أصل إلى الفروقات التي انطلق منها الباحث محمد جاسم حنون لما عقد موازنة بين المدلولين اللغوي والاصطلاحي؛ إذ دل المعنى المعجمي للحجاج على الغلبة، والخصومة، ودل الإقناع على الميل، والرضا، والقبول[٤] .

وآخر الفروقات أن الخطاب يتكون من المثلث الأرسطوي الايتوس(الخطيب)، والباتوس(المتلقي)، واللوغوس(النص)، والحجج تكون في اللوغوس، وهنا يكون البعد اللساني، الذي تكمن فيه اللسانيات الحجاجية، أما الإقناع فيكون من الباتوس بسبيل

---

(١) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٧.
(٢) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٣٧.
(٣) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي: ١٥.
(٤) ينظر: الإقناع في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب والنمط: ١٣.

البنى الحجاجية اللسانية وبأسلوب المحاج الايتوس وهذا يدعو للبحث في طبيعة الأسلوب الألسني للإقناع.

ومهما يكن من التقاء بينهما يبقى الحجاج له نظرياته، ورواده، ودراساته في الوقت نفسه أخذ الإقناع هو الاخر يستقل بدراساته وإن تداخل مع الحجاج في الوسائل والبنى اللسانية، وهذا لا يمنع من استقلاله، فقد تداخلت اللسانيات فيما بينها، وكم أفادت التداولية من المنهج البنيوي أو من المنهج السيميائي، فهل يصح أن نقول إن التداولية نظرية بنيوية؟!

وقد لا يطول الجدل في تحديد العَلَاقة بين التداولية والمنحى الإقناعي، فيكفي أن طه عبد الرحمن جعله من أهم شروط التداول اللغوي، فالشرط الأول هو النطقية، والثاني الاجتماعية، والثالث الإقناعية التي تبتعد عن صبغة الإكراه، وتقترب من الطرح الحجاجي وتحصيل الاعتقاد وهو الشرط الرابع[(١)] ، فعلى هذا جعلها عبد الهادي الشهري استراتيجية مهمة في عرض الخطاب[(٢)] .

فضلا عن تلك العَلَاقات المستقلة او المتصلة يمكن إجمال المشتركات التي تلتقي بها الثلاثة وهي:

١- الجميع يفيد من الجزئيات اللسانية، والبلاغية بمختلف ألوانها، وتشكيلاتها.
٢- الجميع يسعى إلى التأثير، والاستجابة، وابتغاء القصد، والغرض القائم على تحقيق المعنى.
٣- الجميع يقوم على الموقفية التي تنطلق من مراعاة الحال في اللحظة التواصلية، ولاسيما الجوانب الاجتماعية.
٤- تحتاج الثلاثة الى كفاية موسوعية أو ثقافية في برم خيوط التواصل وتحقيق الهدف المنشود.

---

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (د. طه عبد الرحمن): ٣٧- ٣٨.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٤٤.

٥- تلتقي الثلاثة في كونها لم تتحقق في الخطابات كلها، ولاسيما إذا كان الكلام إخباريا أو توصيفا لخالي الذهن، فلو قلنا الجبل عال أو طويل السلسلة هذا لا يعني الإقناع أو الحجة أو التداولية إلا أن توضع في سياقها الحاضن لها.

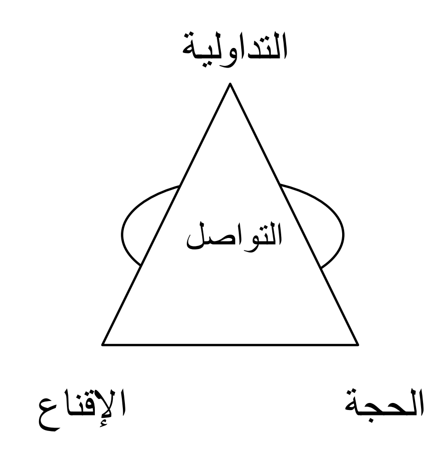
٦- تنتمي هذه الثلاثة إلى علوم التواصل لأنها تقوم على مثلث خطابي مهم مكون من ثلاثة أطراف في العملية الخطابية ويكون على وفق الاتي بالتنويه بتغيير المسميات في كل منهم:

الحجاج: محاج، حجة، محجوج.

الإقناع: قانع، وسيلة إقناع، مقنوع.

التداولية: مرسل (تداولي)، موضوع في موقف، متلق.

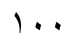
ومن ثَمَّ منهم يمكن ترسيمة الفعل التواصلي القائم على توظيف هذه الثلاثية في العملية النصية على تعدد أشكالها في والبيئات الناقلة لها سواء أكانت العملية الشفاهية أم الكتابية، وتكون الترسيمة على وفق الدائرة المحاطة بالمثلث المركزي:



الفصل الخامس

تداولية التعليم الالكتروني

دراسة في علم لغة الانترنت



يقوم مفهوم التداولية على الخوض في عرى التواصل، من جهة التلقي، ونوعية المتكلم، وتأمل ما يقوله من كلام مكتوب، ومنطوق، ومن جهة تحديد المعاني، وتسجيلها، وقد رازت التداولية المعنى بطرائق أسست لها بعد التأسيس البنيوي، منطلقة هذه الطرائق من محوري البنية والسياق، فجاءتنا مقولة الإشاريات الزمانية، والمكانية، والشخصية، والاجتماعية، والخطابية، ونظرية الفعل الكلامي، ومقولة كرايس، المعنى الطبيعي، وغير الطبيعي، ومقولة الاستلزام الحواري، ومقولة الصلة، ومقولة علاقة اللغة بالذهن، ومقولة علاقة النص بالمعطى الاجتماعي، فأنتج لنا التداولية الاجتماعية، ومقولة علاقة اللغة بالأدب، فأنتج لنا التداولية الأدبية، وهكذا.

وبناء على هذه المعايير المستعملة في البعد التداولي، تعددت تعريفات التداولية ، فتعرف بحسب المعنى: ((التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم))[١] ، إذ تدرس التداولية المعنى كما يضعه المنتج، ويفهمه المستقبل، فتكون رهينة تأويل الناس للنصوص، الواردة في سياق يدركه المستقبل[٢] .

وحينما يكون السياق معيارا في العملية الخطابية يبرز لدينا تعريف جديد للتداولية اذ يعرفها يول مرة أخرى: ((التداولية هي دراسة المعنى السياقي))[٣] .

وحينما يكون المعيار التصريح والتلميح، يكون تعريفها: ((التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال))[٤] .

---

(١) التداولية ، جورج يول: ١٩.
(٢) التداولية ١٩.
(٣) التداولية: ١٩.
(٤) التداولية: ١٩.

وهنالـك معيـار التباعـد النسـبي، أي مراعـاة الجانـب الاجتمـاعي والثقـافي، والمفهومي في العملية التواصلية، فيقال في تعريفها: ((التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي))[١] .

مفهوم التداولية التعليمية

يتم تصنيف التداوليات بحسب الحقل، أو الموضوع الذي تشتغل عليه، فإذا اشتغلت في الفضاء الاجتماعي يقال لها التداولية الاجتماعية، ورائدها غمبرز، واذا اشـتغلت فـي حقـل الأدب سـميت التداوليـة الأدبيـة، ولاسـيما تداوليـة الـنص الشعري، أو النص السردي، وهذا ما اشتغلت عليه ألفى بولان في كتابها (المقاربة التداوليـة لـلأدب)، واذا اشـتغلت علـى حقـل الموازنـة بـين ثقـافتين سـميت التداوليـة الثقافيـة، وهنالـك نـوع درسـته فـي الفصـل الأول، وهـو علاقـة التداوليـة بالتـدريس مسعى لتبني التداولية التعليمية، وأثبت فيه حاجة التدريس في الصف إلى الميدان التواصـلي، والتـداولي سـميته التداوليـة التعليميـة، يقـوم علـى تطبيـق المعلـم، والمـدرس، والأسـتاذ الجـامعي لتكوينـات التداوليـة، والـذي أضـيفه فـي هـذه الورقـة إنزيـاح بسـيط، مفـاده اسـتعمال تلـك النقـاط التداوليـة لـيس عـن قـرب فـي الصـف حصـرا، وانمـا أضـيف إليهـا الحضـور الالكترونـي، مـا دمنـا صـرنا نعتـرف بحقيقـة التعليم الالكتروني، والمرجح لذلك وجود أطراف العملية التواصلية الالكترونية.

انتماء التداولية التعليمية إلى اللسانيات

بعيـدا عـن جدليـة انتمـاء التداوليـة إلـى حلبـة اللسـانيات، اذ صـار بديهـة أن التداوليـة تنـاقش علـى أسـاس الاحتـواء، والتباعـد، فتحتـوي مـن أعمـدة اللسـانيات البنيوية كثيرا، ولاسيما مباحث التراكيب، والسياق، وتبتعد عنها في جنبة التفكير المنطقـي والبرهـاني، والفلسـفي، واللسـانيات بصـورتها الجديـدة لا تعتـرف بالحـدود

(١) التداولية: ٢٠.

الفاصلة بين اللغة وهذه العلوم نحو: المنطق، والفلسفة، والسيمياء وغيرها، اذاً يصير مسلّما أن التداولية نظرية أو منهج أو مدرسة لسانية بامتياز، تنتمي إلى اللسانيات العامة، وحينما برزت اللسانيات التطبيقية، صارت على شكل أصناف، فمنها اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، واللسانيات الحاسوبية، واللسانيات العيادية، واللسانيات الثقافية، ومنها اللسانيات التعليمية التي تسمى ديداكتيك اللغة، في هذه اللسانيات التعليمية مجالات متعددة منها : استعمال ما نظّرت له التداولية، فصارت التداولية التعليمية جزئية من اللسانيات التطبيقية.

مفهوم علم لغة الانترنت

صار للفضاء الالكتروني في مجال الانترنت لغةٌ خاصة، تلتقي باللغة العامة، وتفترق عنها، ببعض الصفات، التي تدخل في باب الإنحراف اللساني، وعدم الإنصياع للقاعدة، والاعتماد على مجريات السياق، فصرت أمام لغة، سمتها التجريد السياقي، والتجريد الوظائفي، وفقدان حلقة السياق يضعنا أمام بوتقة يصعب توصيل المقاصد عبرها، فيكون التواصل جافا، لذا تأسس ما يسمى علم لغة الانترنت، أو لغويات الانترنت، أو لسانيات الانترنت، يناقش طبيعة اللغة، ومفهومها في الفضاء الالكتروني، ويتناول خصائص اللغة الالكترونية، وأنواعها أيضا، ويعد أكثر من بيَّنه ديفيد كريستال في كتابه (اللغة وشبكة المعلومات العالمية)، حينما وضع توضيحا لسوال مهم: هل تقتل الشبكة العنكوبتية اللغة أو تحافظ عليها؟ فجاءت لغة الأنترنت مرنة، سهلة على التعلم، ووضعت بعض قواعد الكتابة، ومنها التكثيف، والترميز، والميل نحو لغة الصورة، والاختصار، والتطعيم بين اللغات، وبعض الإجراءات الأُخر، نحو عدم الإجابة على الرسائل، والمحادثات، فهذا يقترب من لغة الجسد، فيدخل في باب الصمت أحيانا.

مجالات علم لغة الانترنت

ويراد بالمجال القناة الالكترونية ذات الاستعمال اللغوي، نحو: مجال الدردشة، ودراسة لغتها.

.الواتساب.

.التلكرام.

.المسنجر.

.الفايبر.

الشات.

- مجال البريد الالكتروني، ودراسة خصائص لغته، وطبيعة إخراج لغة الاميل.
- مجال لغة الشبكة (الويب).
- مجال مواقع التواصل : الفيسبوك، الانستكرام، تويتر.
- مجال البرامج التعليمية : نحو: الكلاس روم، والزوم، والكوكل ميت، وال أف سي سي fcc ، وبعض البرامج الأخرى.

مباحث علم لغة الانترنت:

ليس ببعيدة عن مباحث اللغة المتعارف عليها، ومنها: الإملاء، فقد بات هذا اللون من اللغة ضعيف الإملاء غير مقيد بقاعدة تعبيرية، بل ميال نحو اللهجة الدارجة، فلا التزام فيه.

ثم يأتي مبحث قواعد النحو، يقتصر أسلوب النخبة على الضبط القواعدي، بينما لا تجد سواد الناس ملتزمين بتلك القواعد.

ويعد المعجم من أهم المباحث الواجب مراقبتها في لغة الانترنت، لكونه معجما مزيجا بين المفردات الواردة في المعجم العربي فضلا عن المعجم اليومي،

الذي يولده الاستعمال، ويولده السياق الثقافي، والخطاب الإعلامي، ولاسيما الإعلام الرقمي.

ثم مبحث الدلالة، وهو الركيز الأساسية في التواصل العام، وأقصد به التواصل اليومي العادي بين الأفراد في ممارسة شون حياتهم، وكذلك التواصل الاجتماعي، فقد غابت بعض الدلالات بسبب رداءة الأساليب المستعملة، وكانت الدلالات تداولية في بعض منها.

ويعد مبحث الصوت من جهة نغمة الصوت، ومخارج الصوت مبحثا ضروريا؛ إذ في غالب طبيعة التواصل تكون على شكل فويس مسج، فضلا عن الاتصال الصوتي، أو الفديوي، فنحتاج هنا ذكر طبيعة تلك النغمات، وشدتها الصوتية، ووضوح الصوت.

يرتبط مبحث الأسلوب بطبيعة التعبير في الانترنت، فلكل منفذ الكتروني أسلوب، وربما أسلوب الأميل يختلف تماما عن أسلوب التويتر، هذا فضلا عن أسلوب الفيس بوك يختلف تماما عن أسلوب الواتساب، وهكذا.

.التواصل التداولي: أي تطبيق شروط التواصل التداولي لحظة التواصل الالكتروني.

كيف ندرس اللغة في برامج التعليم الالكتروني؟

هذا السؤال هو لب البحث، وفي طيات الجواب عنه تفاصيل كثيرة، فمن الممكن أن ندرس الجوانب البنيوية، التي تضم: الصوت، والصيغة، والتركيب، والمفردة، ويدخل فيها التعبيرات الحقيقية، والمجازية، والإملاء، والأسلوب، ثم الجوانب التداولية.

وثمة منزلة للتداولية في علم لغة النت، تقود بنا للإنطلاق إلى تداولية (التعليم الالكتروني).

لم تحضر منطلقات التداولية كلها في كلام الانترنت (ولا سيما مواقع التواصل التعليمية)، وإنما أشار ديفيد كريستال إلى قواعد التخاطب اللساني، وسماها: ((المبادئ الأساسية لكلام الشبكة))، ودرس مبادئ كرايس الأساسية، باعتبار كلام الشبكة جزءا من المحادثة، وتلك المبادئ هي: مبدأ الكم: حاول أن تجعل إسهامك صادقا وبخاصة لا تقل ما تعتقد كذبه، لا تقل ماليس لديك دليل عليه. والثاني مبدأ الصلة: اجعل إسهامك ذا صلة بالموضوع، والثالث مبدأ الكم، لاتجعل إسهامك أكثر من المطلوب، والرابع: مبدأ الكيفية، بمعنى تجنب الغموض، وتجنب اللبس، وكن مختصرا، ومنظما[١] . فالوضع لا يتحمل أن يفرط الاستاذ بتلك القوانين، إذ التفريط بها يقضي على التفاعل.

استحضار المعاني المضمرة، والمعاني الصريحة، فلا بد للأستاذ أن يتجاوز طريقة التصريح في بعض المواضع، وإذا اقتضى الأمر أن يستعمل طريقة التلميح أو لغة المجاز، فالموقف هو الحكم في تحديد نوعية اللغة، إلا أن بعض الأمور تفرض اللغة العلمية لا اللغة الانشائية ولاسيما في عرض الأفكار والحقائق، والقوانين، والمعادلات، والتعريفات.

في بعض العلوم الإنسانية ينبغي استحضار إمكانية الافتراض المسبق في الوسيط الالكتروني التعليمي، حتى يستطيع الطالب أن يتفاعل مع أستاذه، بعيدا عن عدم التفاهم.

ومن مصاديق التداولية في التعليم الالكتروني مراعاة مبدأ التهذيب، في معالجة الشرود الذهني، والتهرب الدراسي، أو حالة الكمون كما يسميها ديفيد كريستال، على أساس قراءة الطالب للمادة، وعدم تفاعله معها، أو الإجابة

(١) ينظر: اللغة وشبكة المعلومات العالمية، ديفيد كريستال: ٦٦.

عليها[1] ، إذًا تفرض طبيعة طريقة التدريس على الطالب أن يكون شارد الذهن، وغير متفاعل مع الأستاذ، فهنا نحتاج إلى منبهات من الألفاظ، ومنبهات من السمايلات أقلها، أو استعمال الأصوات الغريبة، لتكون إشارة إلى عودة ذهن المتلقي / الطالب.

ومن سبل الحضور التداولي في التعليم الالكتروني استعمال الرموز، والإشارات، والسمايلات، والأشكال، والرسوم تماشيا مع لغة الانترنت لأن الطالب صار مشبعا بهذه الأشياء قبل استعماله منصات التعليم، فيمكن أن أخاطبه إنطلاقا من المعتاد عليه، مراعاة لهدر الوقت أيضا إذ يتم هدر وقت المحاضرة؛ بسبب رداءة النت.

سمات اللغة التداولية في التعليم الالكتروني:

- الاختصار. إذ يتطلب أن تكون لغة النص على الشاشة دالة، موجزة، مختصرة، تلم بأطراف الموضوع بعيدا عن الزيادات.
- الدقة، والتركيز.
- مستعملة للإشارات، والرموز.
- عدم الميل إلى المجاز إلا عند الضرورة، إذ يغلب عليها اللغة الحقيقية. فلا مجال للإبداع، واستعمال الأساليب المعقدة.
- متأخرة الوصول إلى الطالب المتلقي؛ بفعل ضعف الشبكة.
- تميزها بالإسقاط، والحذف، نحو: السلام عليكم، نستعمل : س .ع .
- عدم الميل إلى استعمال السياق بوفرة، فمادة الدرس لا تدخل فيها حيثيات السياق، بينما استحضار السياق في كيفية تقديم المادة أو بتعبير أدق في طريقة التدريس.

---

(١) ينظر: اللغة وشبكة المعلومات العالمية: ٧٠.

الفصل السادس

الاستراتيجية التضامنية لدى الإمام الحسن عليه السلام

دراسة في تداولية الخطاب

نبذة مختصرة بالتعريف بالإمام الحسن عليه السلام

قد يكون من نوافل البحث التعريف بشخص الإمام الحسن ، بل جيء بها من أجل الاستئناس، فهو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو محمد الهاشمي سبط رسول الله، وسمَّاه الله عزَّ وجلَّ في التوراة (شبرا)[1] . وأُمه فاطمة بنت محمد، ولد في النصف من رمضان سنة ٣ هجرية. وله ألقاب عدة منها: الزكي، السبط، الأول، سيد شباب أهل الجنة، الأمين، الحجة، التقي. أُثيرت شبهة في عدد زوجاته، فبعضهم جعلها سبعين، وذهب ٱبن جرير الطبري الشيعي ق٥هـ إلى هذا المذهب، وقد قيل أكثر من مئتي ٱمراة، وردَّ تلك المزاعم والشُّبهات باقر شريف القرشي وذهب إلى أنَّه تزوج بأربع نساء، ولم يرضَ بأنْ يكون الحسن مزواجًا مطلاقًا وإنّما هي من عنديات الخصوم، والأعداء. أولاده كثيرون، وهم: عبد الله، القاسم، الحسن، زيد، عمر، عبيد الله، عبد الرحمن، أحمد، إسماعيل، عقيل، وله ابنة أسمها أم الحسن فقط. وقد أسهبت الكتب بذكر تواضعه، وكرمه، وشجاعته، وحلمه، وصبره، وذبه عن دين جده النبي المصطفى، وليس مستبعدًا ذلك، فهو سليل بيت النبوة.

كانت وفاته بعد عشر سنين من إمارة معاوية وذلك سنة ٥٠هـ، وصادف أحداثًا جسامًا في مدة إمامته، وظلمًا وجورًا من السلطات الحاكمة متمثلة ببني أمية، وعلى رأسهم معاوية، وكذلك ممَّا آذاه نكال أصحابه به، وتخاذلهم معه ممَّا أرغمه على الصلح مع معاوية والتنازل عن الخلافة، وما كان ذلك منه إلا حفاظًا على الإسلام، وعلى نفسه، وأهله كما هو صرَّح في مواضع كثيرة لأصحابه بعد لومهم إياه.

---

(١) ينظر في ترجمته: مقاتل الطالبيين: ٢٩- ٣١، و: دلائل الإمامة: ١٦٢- ١٦٤، و: ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق: ٥- ٦، و: سيرة الأئمة الأثني عشر: ١/ ٤٥٩ وما بعدها، و: الإمام الحسن عليه السلام وآراء الكتاب العرب المعاصرين دراسة تاريخية في نماذج:٩ وما بعدها.

المبحث الأول: مفهوم الاستراتيجية التضامنية وجذورها في المنظومة اللسانية

يُعد البحث في تضامنية الخطاب جزءًا من الاهتمام بالمتلقي؛ لذا حينما عُرِّفت انطلق من هذا المعيار، فقيل فيها: ((بأنَّها الاستراتيجية التي يحاول المرسِل أنْ يجسِّد بها درجة عَلَاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأنْ يُعبِّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالًا هي محاولة التقرُّب من المرسل إليه وتقريبه))[١] .

ويعد اللجوء إلى هذه الاستراتيجية بدافع القصد في النص، إذ يحرِّك القائل أو الكاتب بالتودد والتأدب مع المخاطَب لإيصاله، ويُراعى المخاطب بحسب منزلته، فطريقة التضامن مع الغريب تختلف عنها مع الشخص المعروف لدى القائل، وأيضًا تختلف عنها مع أهل الطبقة الواحدة.

وهنالك إشارات في التراث العربي تنم عن اهتمام العرب بالمتلقي، والحرص على التضامن معه، ولاسيَّما في علم النحو عند تقسيم المبتدأ والخبر في كلام ٱبن فلاح اليمني ت٦٨٠ هـ: ((القسم الثاني: كونهما نكرتين، كقولك: رجل ذاهب، وذلك غير مستقيم؛ لأنَّ إسناد المجهول إلى المجهول لا نصيب له في الإفادة، إذ كل أحد يعلم أنَّ الدنيا لا تخلو من رجل ذاهب، فإنْ تخصص المبتدأ بالوصف جاز، كقولك: رجل ذاهب من داري، لأنَّ ذلك لا يعرفه كل أحد))[٢] .

وممَّا يندرج في إرهاصات التضامنية لدى العرب إشارات البلاغيين إليها التي كثرت قياسًا بالحقول الأُخر، ومن ذلك صحيفة بشر بن المعتمر: ((ينبغي للمتكلم أنْ يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٣] .

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (عبد الهادي الشهري): ٢٥٧ .
(٢) المغني في النحو: ٢/ ٢٧٦، وينظر: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية: ٧٤ .
(٣) البيان والتبيين: ١/ ١٣٨- ١٣٩.

فمقدار الكلام على وفق المقام، والطبقة التي يشغلها المتلقي هو المتحكم في صياغة النص وهو الذي يحقق البلاغة في نظر البلاغيين لأنَّه يحقق التضامن، والقبول للفكرة، وهذا جعله أبو هلال العسكري ت بعد ٤٠٠هـ من أول شروط الكتابة، فقال: ((فأول ما ينبغي أنْ تستعمله في كتابك مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق))(١) .

ومن تفكيرهم بالتضامن مع السامع عِبْر آلية الحرص على إفادة السامع بتعريف المسند، يقول السكاكي في مفتاح العلوم: ((وأما الحالة التي تقتضي تعرفه: فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع إفادة يعتد بمثلها؛ والسبب في ذلك هو أنَّ فائدة الخبر لما كانت هي الحكم، أو لازمة كما عرفت في أول قانون الخبر))(٢) .

وفي كلام ٱبن الأثير ت٦٣٦هـ حول المبادئ، والافتتاحات في الخطاب إشارة إلى التضامن، والاهتمام بالمرسل إليه، إذ رأى إذا كان الموضوع فرحًا كانت البداية فرحًا، وإذا كان حزنًا كانت البداية حزنًا، فيقول: ((وحقيقة هذا النوع أنْ يُجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالًا على المعنى المقصود من هذا الكلام إنْ كان فتحًا ففتحًا، وإنْ كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته أنْ يُعرف من مبدأ الكلام مالمراد به، ولِمَ هذا النوع؟.. ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح ما يتطيَّر منه، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس، فينبغي أنْ يحترز منه في مواضعه))(٣) .

حرص الإمام الحسن على التواصل مع متلقيه بارتكازه على أبعاد جمة، ومنها البعد التداولي بأنماط كثيرة أفرزها البحث اللساني الحديث منها: الأفعال الإنجازية،

---

(١) كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر: ١٤٠.
(٢) مفتاح العلوم: ١٧٨.
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٩٦- ٩٧. والى مثل هذا أشار صاحب بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة: ٤/ ١٣١.

والحجاجية، والتضامنية، وهذه الأخيرة درسها (براون وجيلمان) حول (ضمائر السلطة والتضامن)[١] . واستعانة الإمام الحسن بهذا النمط التداولي لم تكن جزافًا، بل هنالك دوافع، وأسباب أذكرها على شكل نقاط مستوحاة من تحليل خطابه التداولي، وسيجد القارئ الكريم مصاديقها كلما قرأ نصًّا له فيما بعد:

- الحفاظ على الإسلام.
- إسداء النصح، والتوجيه، والإرشاد، والحكَم، والوصايا، والأمر بالتقوى، والحث على العلم، وطمعه في قبول الدعاء.
- بيان قدراته العلمية، والخطابية، وبيان أحقيته بالخلافة، وإدارة الدولة لأنَّها توصله إلى الله تعالى.
- دفاعه عن نفسه، وعن سيرته على مر العصور بطريقة إفصاحه عن علة قبول الصلح مع معاوية، وإعلام أصحابه، وخاصته، وشيعته بذلك.
- تحريك الناس وحثهم على الجهاد ضد أعداء الإسلام، والالتفاف حول أبيه، وحوله، وإشعارهم بأنَّهم جزء منهم.
- نكران ذاته أمام الناس مع أنَّه إمام مفترض الطاعة، وهذا يدلل على أدبه العالي، وتواضعه الكبير عند الخطاب.
- ترك رسالة حية للأجيال على مر العصور للناس كافة ولا سيَّما القادة، والساسة.
- حبه بكيفية وصف الله تعالى، والقرآن، وأهل البيت عليهم السلام.
- تغيير قناعات معاوية، وأصحابه الواعين الجاحدين، والجُهَّال منهم نحو ترك الحراب ضد أهل بيت النبوة، وانتزاع السلطة منه، وإعطاؤها لمستحقيها، وكذلك تغيير قناعات أفراد جيشه، ومن يقودهم بعد أنْ خذلوه، ودعوتهم لنصرته.
- إبعاد الفتنة ودرءها، والتخلص منها، والحفاظ على صورة الإسلام الحقيقي.
- دفع التهم عن أبيه، وعن نفسه، وعن التشيع.

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٦٣.

- بيان حقيقة السلطة، وفضحها متمثلة بمعاوية وحكومته؛ إذ ذكر خصالهم، ومقارنتها بخصال أبيه، وأفعاله، وخصاله، ونسبه.
- إبراز مكانة أصحابه وأصحاب أهل البيت، والتهوين من روعهم بفعل الخَطْب الذي يمرون به من السلطات الحاكمة.

المبحث الثاني عناصر الاستراتيجية التضامنية في خطاب الإمام الحسن(عليه السلام)

تقوم العملية الخطابية على مرتكزات ثلاثة في الدرس النقدي الحديث وهي المتكلم، والمستمع، والنص، فدراسة التضامنية تكون معنية بالأوَّلَين، أو بأحدهما، وهما ما يطلق عليهما عناصر التضامنية، ولهذه العناصر أثر مهم في صياغة النص وبلورة الخطاب، يقول بهذا الصدد عبد الهادي الشهري: (((وتصبح هذه العناصر معايير تسهم في تحديد هذه الاستراتيجية، وتسهم كذلك في مقدار التضامن بين طرفي الخطاب))[1] .

أي المتكلم عند صياغة نصه يتحرَّى أو يحدس بمكانة المستمع الرسمية كأنْ يكون قاضيًّا أو ضابطًا في الجيش، ومنزلته الاجتماعية، كأنْ يكون من المكدين أو شيخ قبيلة أو غجريًّا، وتحصيله العلمي وغير ذلك، ويتعامل معه على ضوء ذلك التحديد والتشخيص بإصدار خطابه المتزيي باستراتيجيته التضامنية على قدر عقل المتلقي.

ويجدر التنويه بمسألة مهمة تتعلق بفلسفة التداولية المتأسسة على فلسفة اللغة العادية، التي ترى ارتباط الأفراد في المجتمع عن طريق النشاط اللغوي[2] ، وهذا يوضح، ويدلل على أنَّ الميدان الأجلى لدراسة الاستراتيجية التضامنية هو المحاورة أو المحادثة، وهذا لا يعدم وجودها في المكتوب بتاتًا.

فتأسيسًا على ذلك تجد خطاب الإمام الحسن يتوافر عليه من الاستراتيجيات التضامنية ما لا يُحصى؛ لأنَّه خطاب في مواقف، فأكثره خطبة، أو إجابة لسؤال، أو إيضاح لمبهم في محضر جماعة، كأنْ يكون معاوية، أو أصحابه، أو أنصاره، وشيعته وهذا ما يحتاج إلى بعض القيم التداولية لإحداث التواصل، في الوقت نفسه تجد في بعض رسائله إلى معاوية تلك المسائل أيضًا.

يمكن تقسيم عناصر الخطاب الحسني على قسمين. الأول: مع الخصوم وهم معاوية، وغيره. والثاني مع غيرهم، وهم المارة أو من يسأله، وخاصة أصحابه، وشيعته، والناس عامة، والنبي، وخطاب الله تعالى في حال الدعاء.

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٦٠ .

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: ٢١ .

فمن الأمثلة على القسم الأول محاولة الإمام الحسن بجرِّ معاوية للتضامن معه عن طريق إحدى الاستراتيجيات في دعوته إلى التسليم وترك الشر، وهي **التخيير واستعمال فعل** الأمر، فيقول: ((فإنّك تعلم أنّي أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أوَّاب حفيظ، ومَن له قلب مُنيب، واتق الله ودعْ البغي، واحقن دماء المسلمين، فو الله ما لك من خير في أنْ تلقى الله من دمائهم بأكثر ممَّا أنت لاقيه به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق منك ليطفئ الله النائرة، وتجمع الكلمة، وتصلح ذات البين، وإنْ أنت أبَيْتَ إلا التمادي في غيِّك، نهدتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين))[1] .

ترى الإمام يخاطب المستمع معاوية، ويتودد إليه (تداوليا) وليس تذللا، باستعانته بنمط التخيير بين السلم وبين الحرب، فإنْ تضامن معه في الأول، فهذا ينعكس إيجابًا على الحياة العامة للمسلمين وإنْ أبى، ولم يتضامن معه، فردُّ الإمام عليه بإشعال نار الحرب.

ومن العناصر في هذا القسم معاوية وأنصاره وحزبه، وبتعبير أفصح خاصته، وهم: المغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن عثمان بن عفان، بعد أنْ خطبوا أمام معاوية بالإمام الحسن وطالبوه بدم عثمان، استعمل الإمام على الرغم من عدائهم إليه نكتة تداولية لتنبيههم، وتضامنهم معه بنبرة يتضح فيها القوة ((اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم وبك أبدء يا معاوية، إنَّه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك، وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك، وما هؤلاء سبوني ولكن شتمتني، وسببتني))[2] .

ومن الخصوم الذين يحاول الإمام التضامن معهم هو أبو موسى الأشعري، لمَّا عزله الإمام علي(عليه السلام) عن ولاية البصرة، وأبى العزلَ، فأرسل إليه الإمام ولده الحسن، ومعه عمار بن ياسر، فخطب به الإمام الحسن على مرأى من الناس، فما كان من أبي

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦، و: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : ٤٤/ ٤٠ .
(٢) الاحتجاج: ١/ ٤٠٥ .

موسى إلا أنَّ يؤلب الناس عليه بتهمة دم عثمان، فقال له الإمام **مستعملًا التنغيم** بوصفه أداة للتضامن : ((يا أبا موسى! لِمَ تثبط الناس عنا ؟ فو الله ما أردنا إلا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء))[1] .

أما عناصر الجانب الآخر وهو ما يقابل خصومه المتفرع إلى فروع عدة، أولها الحسن مع سائل يسأل، فعند الجواب يحاول الإمام التواصل معه بالتماس **تقنية التقسيم للكلام،** فقد أقبل علي بن أبي طالب، ومعه الحسن عليهما السلام، فسأله عن روح الرجل إذا نام أين تذهب؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وكيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فأوكل أمير المؤمنين(عليه السلام) الإجابة إلى الحسن (عليه السلام) فقال: الحسن((أما ما سألت عنه من أمر الرجل إذا نام أين تذهب روحه، فإنَّ روحه معلقة بالريح، والريح معلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإذا أذِن الله عزَّ وجلَّ بردِّ تلك الروح على صاحبها، جذبت الروح الريح، وجذبت الريح الهواء، فأسكنت الروح في بدن صاحبها، وإذا لم يأذن الله بردِّ تلك الروح، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث))[2] .

ويستعمل الإمام طريقة تفصيلية بأما لتقسيم الكلام، واستيعابه((وأما ما سألت عنه من أمر الذكر والنسيان، فإنَّ قلب الرجل في حق، وعلى الحق طيف فإنْ هو صلى على النبي صلاة تامة انكشف ذلك الطيف عن ذلك الحق، فذكر الرجل ما كان ينسى.

وأما ما ذكرت من أمر الرجل يشبه ولده أعمامه، وأخواله، فإنَّ الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن، وعروق هادئة، وبدن غير مضطرب استكنت تلك النطفة في تلك الرَّحِم، فخرج الولد يشبه أباه وأُمه، وإنْ هو أتاها بقلب غير ساكن، وعروق غير هادئة، وبدن مضطرب أطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم، فوقعت على عرق من العروق، فإنْ وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإنْ وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله))[3] .

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ١٩.
(٢) علل الشرائع: ١/ ٩٦.
(٣) علل الشرائع: ١/ ٩٧ .

ومن العناصر التي تضامن معها أصحابه المعارضين للصلح، منهم المُسيَّب بن نجبة. فأخذ الإمام **يستعمل المكاشفة** معه، ومناداته باسمه للتضامن معه بحسب المعيار التداولي للخطاب ((يا مُسيَّب! إنِّي لو أردت – بما فعلت– الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب مني، ولكن أردت صلاحكم وكفّ بعضكم عن بعض))[1] .

وقد حاول الإمام أنْ يكسب قوَّاد جيشه، بعد تخاذلهم عنه، وتركه لمكر معاوية، وضغوطه، عبر **القَسَم** لتأكيد ما يقوله: ((ويلكم! والله إنَّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، إنِّي أظن إنْ وضعت يدي في يده فأسلمه، لم يتركني أدين بدين جدي، وإنَّي أقدِر أن أعبد الله عزَّ وجلَّ وحدي))[2] .

ومن المتلقين لديه أولاده وأولاد أخيه باستعماله ألفاظ الأسرة والتقرب والتودد (يا بَني) عند حثه لهم على التوجه نحو العلم: ((يا بَني، وبني أخي، إنَّكم صغار قوم يوشك أنْ تكونوا كبار آخرين، فتعلَّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أنْ يرويه، فليكتبه، وليضعه في بيته))[3] .

وقد يكون النبي أحد العناصر التي يتضامن معها الإمام في خطابه عن طريق **التذلل له والتودد** باستعماله **(يا أبتاه)**؛ أدبًا منه تجاه جده ((يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وآله–: يا بني من زارني حيًّ وميتًا أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقًّا علي أنْ أزوره يوم القيامة، فأخلِّصه من ذنوبه))[4] .

وقد اتسم خطابه بأنْ يكون المتلقي الله تعالى، أي متلقٍ افتراضي في حال الدعاء عن طريق آلية **التذلل ومدحه والثناء عليه** بغية طلب المغفرة، وقبول الدعاء في دعائه: (((يا عدتي عند كربتي، يا غياثي عند شدتي، يا وليي في نعمتي، يا منجحي

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٥، و: أعيان الشيعة: ١/ ٥٧١.
(٢) علل الشرائع: ١/ ٢٢١.
(٣) كنز العمال : ١٠/ ٢٥٧.
(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسن: ١٦.

في حاجتي، يا مفزعي في ورطتي، يا منقذي من هلكتي، يا كالئي في وحدتي، اغفر لي خطيئتي، ويسر لي أمري، واجمع لي شملي))[١] .

وهنالك عناصر خطابية عامة في زمن محدود (المتلقي المعين) عند تنصيب نفسه قائدًا وإمامًا عبر آلية **النداء بـ(أيُّها الناس)** في مقتبل خطبته بعد وفاة والده في مسجد الكوفة بعد أنْ أثنى عليه، وذكر خصاله قال: ((أيُّها الناس من عرفني، فقد عرفني ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، وأنا ٱبن النبي والوحي، وأنا ٱبن البشير النذير والداعي إلى الله بإذنه، وأنا ٱبن السراج المنير، وأنا من أهل البيت عليهم السلام))[٢] .

يقابل هذا النوع المتلقي العام (الكوني) الذي ينطبق على كل الناس في أزمان متعددة، بدليل استعماله **النداء (يا ابن آدم)** لتمرير نسق النصيحة والتوجيه بعبادة الله والتأسيس لبعض القيم الاجتماعية بغية استقامة الحياة، فيقول: ((يا ٱبن آدم عف عن محارم الله تكن عابدًا، وارضَ بما قسَم الله سبحانه تكن غنيًّا، وأحسِن جوار من جاورك، تكن مسلمًا، وصاحب الناس بمثل ما تحب أنْ يصاحبوك به تكن عدلًا))[٣] .

---

(١) بحار الأنوار: ٩١/ ١٩١، و: صحيفة الإمام الحسن: ٥٤.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٣.
(٣) كشف الغمة في معرفة الأمة: ٢/ ١٩٥.

المبحث الثالث: طرائق الاستراتيجية التضامنية في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)

تدل كلمة استراتيجية على معنى التخطيط الشامل في فن القيادة، والجيش، وقد اقترضت في البحث اللساني الحديث في المدلول نفسه، وجعلها عبد الهادي الشهري مفتاحًا لعنوان كتابه (استراتيجيات الخطاب)، وقد استعان الإمام بفن التخطيط الخطابي عند تعامله مع من كان متلقيًا له؛ بحثًا عن هدف محدد هو تحقيق التواصل وإيصال المقاصد.

وتتوزع تلك الطرائق على مفصلين، وظِّفا في خدمة المسار التداولي في الخطاب الحسني. الأول: يضم الطرائق غير اللسانية، نحو ما بينته في المبحث السابق: التنبيه، والمكاشفة، والتذلل للمتلقي والثناء، ويندرج معها في هذا المبحث الدعاء للمتلقي، والتصريح بالاسم، والواقع والمعروف، والتزام ألفاظ الأسرة نحو: عمَّاه، وتخصيص الحديث، ومحق الذات، ومدحها، والمقارنة، والمصانعة، والاحتجاج بالآية القرآنية، وتفسيرها، واستحلاف المتلقي، وأسلوب التطميع والترغيب. والثاني الطرائق اللسانية، نحو: ما ذكرتها في المبحث السابق: الأمر، والتنغيم، وتقسيم الكلام، والقَسَم، والنداء. ويضاف إليها: الضمير المتصل، والتعبير الإشاري، والتعبير الفني.

والملفت للنظر تعدد تلك الطرائق، وهذا يدل على تشبعه بالخطوات التداولية، ومنها **الدعاء للمتلقي** بخاصة إذا كان فصل الخطاب التفاف الناس حوله، فقد جمع الناس وخطبَ ((وما أصبحت محتملًا على مسلم ضغينة، ولا مريدًا له بسوء ولا غائلة، ألا وأنَّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممَّا تحبون في الفرقة، ألا وأنِّي ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم ولا تخالفوا أمري، ولا ترددوا على رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لمَا فيه المحبة، والرضا))[1] .

واستعمل الإمام تقنية أخرى تقوم على إخفاء ٱسم الطرف الآخر المستقبِل لخطابه والاكتفاء **بكنيته**، وهذا الاستعمال يؤشر الاحترام الكبير للمستقبِل وهو بدوره يقلل من حدة الفوارق بينهما ويسهِّل عملية الاستيعاب، والفهم للقصد بعد اطمئنان الحالة النفسية

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٩٥.

للمتلقي عندما يصدر ممن هو أعلى منزلة منه نحو الإمام الحسن يخاطب أبا سعيد عقيصًا بعد أنْ سأله عن قبول الصلح مع معاوية، فأجابه الإمام: ((يا أبا سعيد، أ لستُ حجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإمامًا عليهم بعد أبي عليه السلام؟ .... يا أبا سعيد، علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه واله لبني ضُمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية))[1] .

وما يقرب من الكنية **الاسمُ** استعمله الإمام في خطابه مرات عدة؛ دلالة على تقرُّب المتلقي منه، وهو يعظ الصحابي جُنادة بن أبي أُمية، ويقدِّم له النصيحة ((يا جُنادة، استعد لسفرك، وحصِّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنَّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همَّ يومك الذي، لم يأت على يومك الذي أنت فيه))[2] .

وقد لجأ الإمام إلى الاستعانة بالأمور **الواقعية والمعروفة** سابقًا وتذكير المتلقي بها بغية كسبه، وتضامنه معه في دفعه التهمة عن أبيه من لدن ٱبن الزبير حينما تهمه بقتل عثمان، فردَّ الإمام بحضور المهاجرين والأنصار على الزبير بتاريخه المعروف وسرقته بيت المال وقت حكومة عثمان: ((أيُّها الناس قد [بلغنا] مقالة ٱبن الزبير في أبي وقوله فيه: إنَّه قتل عثمان، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين، علمتم بقول الزبير في عثمان، وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنَّى عليه، وأنَّ طلحة يومذاك راكز رايته على بيت ماله، وهو حي، فأنَّى لهم أنْ يرموا أبي بقتله وينطقوا بذَّمه؟ ولو شئنا القول فيهم لقلنا)) [3] .

ومن هذا القبيل استعمال ألفاظ تنطوي في حقل الأسرة الدلالي، ومنها لفظة **عمَّاه** في وداع أبي ذر الغفاري بعدما نفته السلطة؛ ليهوِّن الخطب عليه: ((يا عماه، لولا أنَّه لا ينبغي للمودع أنْ يسكت، وللمشيع أن يتصرف، لقصر الكلام، وإنْ طال الأسف،

(١) علل الشرائع: ٢/ ٢١١.
(٢) بحار الأنوار : ٤٤/ ١٣٩.
(٣) أحاديث أم المؤمنين عائشة ادوار من حياتها: ١/ ٢١٥.

وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض)) [1] .

لانشغال أبي ذر، وتدهوره، ولشدة روعه، وحزنه لمَا فعلته به السلطة الحاكمة بسبب موقفه الذاب عن العقيدة، يكون ذلك التضامن، وقد يكون؛ ليشعره بقربه منه ((ثم هو يشجعه على الاستمرار على موقفه، ويعتبر أنَّ فيه رضى النبي الأعظم ص ومن ثمَّ رضى الله سبحانه وتعالى)) [2] .

تتضح تقنية أُخرى في جوابه عن سؤال مبهم صدر من رجل، يستعلم عن معنى الجواد، فالإمام **خصص الحديث** عن جود الله تعالى بقوله: ((وإنْ كنت تسأل عن الخالق فهو الجَواد إنْ أعطى، وهو الجَواد إنْ منع؛ لأنَّه إنْ أعطاك، أعطاك ما ليس لك، وإن منعك، منعك ما ليس لك)) [3] .

وقد يستعين الإمام **بمحق الذات** في رسالته إلى معاوية، ويذكر اسمه الصريح، ولم يصرح بلقبه (الإمام)؛ ليوصل مغزى خطابه إلى المتلقي معاوية، وللتخفيف من أنفته، فإذا استعمل الإمام أوصافه الحقيقية، فقد يزيد هذا من غضب معاوية، ويشل حاله، ويخيفه ممَّا يجعله يبتعد عن النص، وإنَّما قال: ((من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنَّ الله تعالى عز وجل بعث محمد صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، ومنَّة على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين؛ لينذر من كان حيًّا، ويحق القول على الكافرين)) [4] .

ويحدد الموقف نوع الطريقة التي يلتزمها الإمام، فكما رأيناها محقًا للذات هذه المرة نراها في موضع آخر **مدحًا لها** من أجل تغيير قناعات معاوية ومن أجل التعريف بنفسه أمام الناس ((أنا آبن مستجاب الدعوة، أنا آبن الشفيع المطاع، أنا آبن أول من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنة، أنا آبن من قاتلت الملائكة معه ولم تقاتل

(١) بحار الأنوار: ٢٢/ ٤١٢.
(٢) الحياة السياسية للإمام الحسن: ١٣٢.
(٣) الكافي: ٣٨.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٣٥.

مع نبي قبله، أنا ٱبن من نصر الأحزاب، أنا ٱبن من ذلَّت له قريش... أنا ٱبن من رضاه رضى الله، وسخَطه سخَطه، فهل لك أنْ تساميه يا معاوية)) [١] .

وفي إطار الحديث عن ايقونة المدح تجد الإمام **يمدح المتلقي** للحفاظ على عرى التواصل معه، ولاسيَّما إذا كان المتلقي هم أصحابه وخاصته، بعد أنْ وبَّخوا الناس لأنَّهم لم يستجيبوا لدعوة الإمام بإعلانه الجهاد ضد معاوية حينما سمع بقدومه على الكوفة لمقاتلته، فقال الإمام رادًا الجميل لهم، ومعلنًا تمسكه بهم بخاصة بعد شعوره بالوحدة، وقلة الناصر لتخاذل الناس عنه، وخيانتهم : ((صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء، والقبول، والمودة، الصحيحة، فجزاكم الله خيرًا)) [٢] .

ولا غنى للإمام الحسن على ترك تقنية **المقارنة** بينه وبين معاوية، فمنها يحاول افتتان المتلقي، والميل به نحو أهل بيت النبوة، بوساطة المقارنة بالنَّسَب، والصفات، ويجعل المتلقي يختار بنفسه أيهما يريد وهذه من أهم السمات التداولية في نظر (روبين لاكوف) في مبدأ التأدب، الذي جاءت به على وفق قاعدة(اجعل المتلقي يختار بنفسه) [٣] . فخطب الحسن في الكوفة ((أيها الذاكر عليًّا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قُتَيْلَة، فلعن الله أخملنا ذكرًا، وألأمنا حسبًا، وشرنا قديمًا، وحديثًا، وأقدمنا كفرًا، ونفاقًا)) [٤] .

وتضامن الإمام الحسن مع الفقراء عِبْر وسيلة أخرى، تقوم على فعله مثل ما يفعلون، وهذه تسمى في البحث التداولي بـ (**المصانعة**)((ونعني بهذه الآلية العمل على منوال عمل المرسل في اللغة، وليس الموافقة في الرأي)) [٥] . وقد سلكها الإمام ليترك درسًا في التواضع، وعدم التكبر على الرغم من علوِّ مقامه، وإمامته، وقربه من الله تعالى، فمفاد الرواية: اجتاز الإمام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على الأرض

(١) أعلام الهداية: ٤/ ١٨٢ .
(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٥٠ .
(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٤٠- ٢٤١.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٦ .
(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣١٢ .

كسيرات وهم قعود ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا بن بنت رسول الله إلى الغداء، فنزل (عليه السلام) وقال: ﴿إنَّه لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْنَ﴾ وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم، وكساهم[1] .

وقد تختلط الاستراتيجية التضامنية أحيانًا بالحجة لردع المتلقي وإقناعه، وتكون هذه **الحجة قرآنية** إيمانًا بقوتها، ومناسبتها للموقف الذي مر به الإمام : ((وروى ابن شهر آشوب في مناقبه أنَّ جارية حيَّته بباقة ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فَلَامَه بعض جُلسائه على ذلك، فقال له: أو ما سمعت قول الله: ﴿وإذا حُييتم بتحيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أو رُدُوْهَا﴾ ولا شيء أحسن من عتقها)) [2] .

وقد كانت الحجة هذه المرة **تفسيرًا للآية القرآنية** في موضع آخر لمَّا قدَّم نفسه قائدًا وإمامًا بعد وفاة أبيه وقتما خطب بالناس، وعرَّفهم بنفسه قائلًا: ((أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني ... أنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه، إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نُزِدْ لَهُ فِيْهَا حُسْنًا﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت)) [3] .

ويفيد الإمام الحسن في خطابه من **استحلاف المتلقي** بالله، وهم أصحاب معاوية الأربعة السابق ذكرهم، ليحرز تضامنهم معه في قول الحق وتغيير سياستهم مع معاوية بعد أن خطبوا وشتموا عليًّا قال: ((أنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما...وأنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ ما أقول حقًّا أنَّه لقيكم مع رسول الله ص يوم بدر ومعه راية النبي (ص) والمؤمنين...أنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ رسول الله (ص) حاصر بني قريضة وبني النضير...)) [4] .

مع تلك التقنيات التضامنية يضم الخطاب الحسني تقنية مهمة ألمحت إليها ضمن عناصره في المبحث السابق وأعود إليها مرة أخرى؛ لأهميتها وتوافرها عليه بكثرة ألا

---

(١) ينظر: سيرة الأئمة : ١/ ٤٦٦.
(٢) سيرة الأئمة:١/ ٤٦٨- ٤٦٩. وروى الرواة هذه الرواية للإمام الحسين، ينظر: حياة الإمام الحسين دراسة وتحليل:١/١٤٠.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٣٣.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٤٠٥- ٤٠٦.

وهي (**المكاشفة**) التي تقوم على التعامل الصادق مع المتلقي الذي أكده (اوزفالد ديكرو) شرطًا في الخطاب ((ويتمثل في قول المتكلم للحقيقة كما يتصورها موجودة في الواقع أو كما يدركها في الواقع)) [١] ، وقد يتوقف على الصدق إنجازيه الفعل ويعد من القيم التداولية المهمة[٢] ، ((ويعتبر كشف الذات عنصرًا من عناصر التضامن، أو دليلًا على القرب، ويتفاوت الناس من إطلاع الغير على الأشياء العامة إلى كشف أدق الخصوصيات)) [٣] .

وكاشف الإمام نوعين من المتلقي، الأول: هم خاصته ممن عارض الصلح مع معاوية، فأباح لعَدِي بن حاتم عن سبب قبول الصلح مع استعماله التصريح باسمه الأول (العَلَم)، فبعد أنْ تكلم عدي، ولامه، قال: (((يا عدي، إنِّي رأيت هوى معظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب، فلم أحب أنْ أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنَّ الله كل يوم هو في شأن)) [٤] .

ولم تقتصر المكاشفة على الأصحاب، بل الناس عامة، فقال مخاطبًا إياهم ((أيُّها الناس قد علمتم أنَّ الله –جل ذكره وعز اسمه– هداكم بجدي، وأنقذكم من الضلالة...وأنَّ معاوية نازعني حقًا هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أنْ تسالموا مَن سالمني وتحاربوا مَن حاربني، فرأيت أنَّ أُسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد صالحته ورأيت أنَّ حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم، وبقاءكم)) [٥] .

وينجلي أسلوب **التطميع والترغيب** من لدن الإمام تجاه المتلقي؛ لبيان حقيقة أهل البيت أمام رجل من الشام قد غذاه معاوية بالحقد والضغينة عليهم، وقام بسبِّ الإمام مع أنَّه لا يعرف عليًّا إلا بصورته التي أوصلها إليه مناوؤه، وبعدما انتهى الشامي من

---

(١) تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١٢٢.
(٢) ينظر: البراجماتية عرض ونقد: ٢٨٨ .
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٠٢.
(٤) أعلام الهداية: ٤/ ١٧٣.
(٥) أعلام الهداية: ٤/ ١٥٨ .

حديثـه، تكلـم الحسـن ببـرود وهـدوء: ((أيُّهـا الشـامي أظنـك غريبًـا، فلـو أنَّـك سـألتنا، أعطينـاك، ولـو استرشـدتنا، أرشـدناك، وإنْ كنـت جائعًـا، أطعمنـاك، وإنْ كنـت محتاجًـا، أغنياك، أو طريدا، آويناك)) [1] .

وقد يفضي الاستقراء اللساني لتلك الطرائق إلى تأشير **الضمير المتصل** في الخطاب الحسني بحثًا عن التضامن مع الناس، وتحفيزهم على إجابة دعوة الإمام علي عليه السلام بعد أنْ رفض أبو موسى عزله عن البصرة، فأشعرهم الإمام بأنَّهم جزء من الانتماء إلى خط أهل البيت، وأنَّ المصيبة واحدة ((أيها الناس، اجيبوا دعوة أمركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنَّه سيوجد إلى هذا الأمر من ينفر إليه، والله لئنْ يليه أولو النهي أمثل في العاجل والآجل خير في العاقبة، فاجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم)) [2] .

ويتوافر **التعبير التأشيري، الذي قيل في معناه:** ((والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير التأشيري)) [3] ، يحمل معنى تداوليًّا مضمرًا عبر ٱسم الإشارة (هذا) مفاده التعظيم، الذي لا يتوفر عند عدم استعماله في الخطاب الحسني لمَّا يصف القرآن الكريم: ((إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جالٍ بضوئه وليلجم الصفة قلبه، فإنَّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)) [4] .

ويتزامن مع هذا التعبير ما اسميه **التعبير الفني** المتأتي من التزام الصيغ الصرفية نحو ٱسم الفاعل(الواحد، الدائم، القائم، الخالق) دلالة على التعلق والثبات فيها، وٱسم المفعول (الموصوف، المعروف)، دلالة على من وقع عليه الوصف والمعرفة، وصيغة المبالغة (فعول: قلوب، عقول) دلالة على الكثرة والمبالغة[5] ، عند وصفه الله تعالى ((الحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير

(١) سيرة الأئمة: ١/ ٤٦٧ .
(٢) أعلام الهداية: ٤/ ٩٤ .
(٣) التداولية: ٢٧.
(٤) كشف الغمة في معرفة الأمة: ٢/ ١٩٥.
(٥) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ١٢١.

منصبته، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديما في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته))[١] .

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٤٠.

الخاتمة

-لم تختلف التداولية التعليمية عن التداولية اللغوية، ألا أن التداولية اللغوية أحيانا تكون خطابية وكتابية، عكس التعليمية غالبا ما تكون في لغة التدريس الشفوية، وهذا لا يعدم انتظامها في لغة الكتاب. وهذه التداولية لها أركانها الثلاثة المعلم، والمتعلم، والنصوص، لم يتم النجاح فيها إلا بتآزر هذه الأركان الثلاثة، وتلاحمها.

-ثبت في نهاية المطاف أن التدريس عملية تداولية، ومجرياته تتعلق بالموقف الاتصالي، المدعوم بالحجج الواعية، لان العملية التدريسية تحتاج إلى ذلك من أجل الاقناع. وعليه يوصي الباحث بان تقوم طرق التدريس والتعليم المستمر بتدريب الأساتذة على القوى التداولية من منظورها اللساني، وزجها في جدولة أعمالهم.

- يجب الاعتراف بجهود التداوليين المؤسسين في إسداء مقولات التأويل التداولي، وتوافرها على كتبهم عن طريق الإشارات إليها، ومنهم جون لانكشو أوستين، وجون سيرل، وكرايس، وغيرهم من اللاحقين نحو: جاك موشلار، وفرانسوز أرمينكو، وغمبرز، وغيرهم.

في الوقت نفسه تعد جهودهم تكاملية في صيرورة التأويل ومفهومه، فقد نَظَر إليه أوستين نظرة تطبيقية من دون الالتفات إلى التنظير له، أو حتى ذكر المصطلح، إلى أن تطور الأمر لدى سيرل بوضع استراتيجيات له، ووصل الى ظهوره في كتبهم نحو فان دايك، وجون ك آدمز، وسبربر وولسن وغيرهم.

-بعد نضج مفهوم التأويل التداولي، ونظرتهم إليه تجده يرتبط بميادين علمية عدة نحو: علم النفس في مسألة إدراك الملفوظ، ثم علم اللسانيات في تفسيره، والعلم الموسوعي في قضايا السياق المحيطة به التي أشار إليها أغلبهم.

-لا بد من الإشارة إلى تواجد التأويل التداولي في الفكر اللساني العربي القديم، تحديدًا في الأبواب البلاغية المتمثلة بالأغراض المجازية لدلالات الطلب، نحو الأمر، والنهي، والنداء، والتعجب، مع مراعاة ظروف المقام وعدم إرادة المعنى الأصلي كما اشترطوا، والتقوا به مع الفكر التداولي الحديث، فضلًا عن الالتفات الى اختلاف مفهوم هذا التأويل عن ذلك التأويل العام ولا يعدم الالتقاء بينهما.

- لا يكون هذا التأويل إلا بشروط وضعها التداوليون في المؤول تتعلق بكفايته اللسانية، والتداولية، والموسوعية. ومع هذه الشروط ثمة طرائق يسلكها المؤول بوصفها تكوينًا له ذكرت في المبحث الثاني وهي: توخي قصد المتكلم، وإزالة اللبس، والإدراك، والاستنتاج، والتعدد بالدلالة، ووعي بالافتراضات المسبقة، وبعض الأبعاد الاجتماعية كما يرى غمبرز؛ كل ذلك ليفك المؤول شفرات النص التداولي بحثًا عن معنى المتكلم في بعض المقولات التداولية، نحو: أفعال الكلام، والاستعارة، والاقتضاء، ومبدأ التعاون، والاستلزام التخاطبي، والمعنى الضمني، والحجاج.
- بعض الجهود العربية حاولت أن تستوعب التداولية المدمجة، وتفصل بينها وبين الحجاج اللساني، وتنوه بالعلاقة بينهما، وتجعل الحجاج تداوليا، ومن التداولية حجاجية.
- كانت ولادة التداولية المدمجة متنافذة مع الحجاج اللساني، وكلاهما لديكرو، وهذا ما يرد على من أفردهما، وفتقهما.
- تبين أن التداولية المدمجة والحجاج اللساني يسيران مسيرا واحدا في النص، إذ تفيد منه في تصوير المعنى الذي يحلل تداوليا على وفق الدلالة، والبلاغة، والحجاج. على العكس من أن الحجاج والمعنى الحجاجي كانا في النظريات السابقة مستقلا، فأدخل ديكرو مقولة الحجاج اللساني، عبر الاستدلال التداولي ليخلصه من مقولات البرهان، والمنطق.
- نظرت بعض الدراسات العربية نظرة خلط وتداخل، وترادف للتداولية المدمجة، فعقدوا الفصول، والأبواب، والمباحث، والعنوانات، للتداولية المدمجة، وقدموا لنا عكس ما نريد، إذ اكتفوا بنظرية الحجاج اللساني.
- على العكس من النتيجة السابقة ثمة كتاب لم يعقبوا على الفصل بينهما، في الوقت نفسه نجد من أشار إلى افتراقهما بروح التداخل، وتبادل الأدوار.
- إن لكل من التداولية، والحجاج، والإقناع الثلاثة تصورا معينا قائما على النسق الألسني بالدرجة الأساس والمتضافر مع حقائق أُخر في كل منهم، ومع استقلال هذه الثلاثة عن بعضها هنالك تداخل بين حدودها، لكنه لا يلغي حجم الإنفصال فيها، الإنفصال الذي يؤهل ما يسمى اللسانيات الحجاجية، واللسانيات التداولية، وثم يتبنى البحث ما

يسميه بلسانيات الإقناع، والانطلاق من الخطاب الإقناعي في المكتبة الغربية والعربية وتحديد مجالاتها، ووظائفها، ومنهجها، ومزياتها اللسانية وغير اللسانية والاقتناع بأنها أميل الى التوظيف البلاغي في عملها، ناهيك عن تفرده بالأنماط والوسائل التي تتمثل بالحوار، والسرد، والأمثال ولاسيما المثل القرآني. وأسوق الأدلة على هذا التبني للسانيات الإقناع باختصار:

١- الدفاع عن تسمية اللسانيات بلحاظ مفهوم اللسان الذي هو نظام للتواصل البشري ويقوم على حيثيات وقواعد محددة مثل بيئة التواصل، والأطراف التخاطبية، والمحددات الثقافية، وموضوع التخاطب.

٢- ارتكازها على البنى اللسانية، وإفادتها من الجزئيات اللغوية والنصية.

٣- ارتكازها على الموقف، وانتماؤها الى المجال التواصلي وهذا ما يميزها عن اللسانيات البنيوية مثلا ويقربها من اللسانيات التداولية على الرغم من استقلال الأخيرة فلسفة ومنهجا.

٤- الانتماء الى المجال البلاغي ولعل هذا محور مهم في تبريز الفروق بينه وبين اللسانيات الأخر.

٥- توظيفها لأنماط ووسائل أخر كأن لم ينوَّه بها في السابقات كما ذكرت نحو المثل، والقصة، وغير ذلك.

٦- اعتمادها على مؤهلات خارج نصية كأن تتعلق بالأداء الخطابي، أو بالجانب النفسي، والاجتماعي المحيط بالنص المعني بالاقناع.

٧- إن إطلاق اللسانيين مصطلحات نحو اللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات الإدراكية، واللسانيات البنيوية كان بحسب معيار الوظيفة التي يؤديها هذا العلم بحدود البنى اللغوية، فكذلك اللسانيات الإقناعية بحسب معيار الوظيفة التي تؤديها وهي دراسة وسائل الإقناع انطلاقا من البنى اللسانية وما يتعلق بها من جهة التواصل والثقافة المنصبة في النص.

- حوى الخطاب الحسني قيمًا تداولية أهلته لتحقيق التواصل مع المتلقي، عبر استعماله استراتيجيات التحاور والبحث عن التضامن معه، وعبر الاستعانة بإيصال الغرض المضمر أحيانًا.

- تنوعت البيئات الحاملة للاستراتيجية التضامنية من النص السياسي إلى الوعظي إلى الخطبة إلى الرسائل إلى الفخر بمنزلته ونسبه. وفي هذا السياق قد كثرت استراتيجيته في النص السياسي؛ لأنَّه هو الغالب على خطابه تجاه معاوية وأنصاره؛ لكثرة الأحداث والأدوار التي تقلَّدها معاوية معه؛ وهذا يتطلب النزول إلى مستواهم وكسبهم قدر الإمكان.

-هنالك دوافع وراء التضامن لدى الإمام الحسن تدور حول بيان أحقية أهل البيت بالسلطة، وبيان مكانته، ومكانة أهل البيت، وبيان حقيقة معاوية وأنصاره، وغير ذلك.

-ينقاد التضامن أحيانًا نحو الحجاج فهو يتضامن مع المتلقي؛ ليبدي حجاجًا من أجل تغيير قناعاته.

-تنوعت طرائق استراتيجية التضامن وتوزعت بين اللسان وما هو خارجه، واللسانية هي: التقسيم، والقسم، والضمائر المتصلة، والتعبير الإشاري، والتعبير الفني، والنداء، أما غير اللسانية فهي: المكاشفة، والمصانعة، ونكران الذات، ومدح المتلقي، والآية القرآنية، وتفسيرها، والترغيب والتطميع، والاسم، والكنية. وكانت غلبة الحضور للتقنيات غير اللسانية.

-اتسم المتلقي بالتلون، فقد يكون من جلسائه، أو من أعدائه، أو من خاصته، أو متلق عام.

-يرتبط التضامن بالموقف، فهو الذي يحدد نوع الاستراتيجية التي يسلكها الحسن في خطابه.

المصادر

-آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج، الدكتور الحسين بنو هاشم، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠، ٢٠١١م.

-أئمة الفكر التربوي الإسلامي، الدكتور محمد جواد رضا ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.

-آيات الأعراف والتقاليد دراسة في الحجاج اللغوي والفعل الكلامي، رشا حسين عبيد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٤٠هـ- ٢٠٢٠م.

-الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، عيسى تومي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيصر - بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥م.

-اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب إلى المكبوت، تأليف الدكتور محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة سوريا- دمشق، ٢٠٠٨م.

-أحاديث أم المؤمنين عائشة أدوار من حياتها، تأليف السيد مرتضى العسكري، دار التوحيد للنشر، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

-الاحتجاج، تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

-الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية الكريم مقاربة تداولية مدمجة في ضوء علم الدلالة المقامي، د.مشتاق عباس معن، ط١، دار دجلة.

-أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

-أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، تأليف الشيخ طه عبد الله السبعاوي ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط ، د.ت.

-الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، الدكتور رضوان الرقبي، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلي الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، العدد٢ المجلد ٤٠، ٢٠١١م.

-استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، تأليف عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

-أسرار البلاغة، تأليف عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

-الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، الدكتور إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، اربد – الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

-أعلام الهداية، تأليف لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط٥، ١٤٢٩هـ.

-أعيان الشيعة، تأليف السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

-الإقناع في القرآن الكريم دراسة في النمط والأسلوب، محمد جاسم حنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة ذي قار، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

-الألسنية التوليدية والتحويلية قواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، الدكتور ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

-الإمام الحسن ﵇ وآراء الكتاب العرب المعاصرين دراسة تاريخية، تأليف حيد محسن بندر العبودي، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة ذي قار، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

-الإيضاح في علوم البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني ت٧٣٩هـ ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،، ط١ ٢٠٠٣م- ١٤٢٤هـ.

-بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة المجلسي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان،، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

-بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، مجموعة باحثين ، ترجمة الدكتور محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط١، ٢٠١٣م.

-البراجماتية عرض ونقد(الدكتور منصور بن عبد العزيز الحجيلي)، د.ط، منشور على الانترنت على الموقع www.pdffactory.com.

-براجماتية وليم جيمس الدينية، الدكتور عبد الأمير الشمري، بحث منشور في مجلة دراسات فلسفية، العدد/ ٢٠، ٢٠٠٧م، مؤسسة بيت الحكمة بغداد- العراق.

-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩م.

-بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، تأليف الدكتور حسن المودن ، دار كنوز المعرفة، عمان- الأردن، د.ط ، ٢٠١٣م.

-البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، تأليف محمد علي القارصي، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية- تونس.

-البيان والتبيين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. و: ط١، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ٱبن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مطابع العبور الحديثة، القاهرة- مصر، ٢٠١٠م.

-بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، تأليف عبد الله بريمي، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١ ، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
-التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، تأليف إدريس سرحان، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، إربد- الاردن، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
-تأويل النص عند الصوفية فصوص الحِكَم لابن عربي أنموذجًا، علي كاظم جواد سميسم، أُطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة- كلية الآداب، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
-التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، تأليف محمد بازي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
-تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا، هشام فرّوم، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩م.
-التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، تأليف الدكتور محمد عديل عبد العزيز، دار البصائر، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
-تحليل الخطاب، تأليف ج. ب براون، و ج يول، ترجمة وتعليق: الدكتور محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي ، دار المطابع، الرياض- السعودية، د. ط ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
-تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط٤، ٢٠٠٥م.

-تداوليات التأويل، تأليف عبد السلام اسماعيلي علوي، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، اعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

-التداولية، تأليف جورج يول، ترجمة الدكتور قصي العتَّابي، ط١، دار الأمان، الرباط المغرب العربي، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

-التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٦م .

-تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، تأليف محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

-التداولية المدمجة بحث في المفهوم، د. مؤيد عبيد صوينت، بحث منشور في كتاب انتظام المعرفة اللغوية، تنسيق مؤيد ال صوينت ود.خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة عدنان، بغداد – العراق، ٢٠١٥م.

-التداولية المدمجة مقاربات في النظرية والمنهج، الاستاذ بلخير عبد المالك، بحث منشور ضمن مجلة تاريخ العلوم، مركز ودود للفهارس، جامعة حلب، العدد ٨، الجزء ١، ٢٠١٧م.

-التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبلان، جاك موشلار، ط١، ترجمة: الدكتور سيف الدين دغفوس، الدكتور محمد الشيباني، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.

-التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، تأليف الدكتور مسعود صحراوي ، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١ ٢٠٠٥م.

-التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، الدكتور مؤيد صوينت، بحث منشور في كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير الدكتور بشرى البستاني ، مؤسسة السيَّاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط١، ٢٠١٢م.

-التداولية من أوستين الى غوفمان، تأليف فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، وعبد الرزاق الجمايعي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠١٢م.

-التداولية والبلاغة العربية (باديس الهويمل)، بحث في مجلة المخبر العدد:٧، ٢٠١١م.

-التداولية والسرد، تأليف جون – ك آدمز، ترجمة: الدكتور خالد سهر ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط١، ٢٠٠٩م.

-ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق، تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر ت٥٧١هـ، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠.

– تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، محمد العبد، منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال الخطاب، إعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

-تفسير القرآن الكريم، تأليف صدر المتألّهين الشيرازي ، تحقيق: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان،، ط٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، وتحقيق: محمد خواجوي، الناشر: بيدار، قم – إيران، ١٣٧٩هـ.ش.

-التفسير الكبير، تأليف ابن تيمية ت ٧٢٨هـ، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن حميرة، الناشر محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

-الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه (عبد الله صولة)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية

مـن أرسـطو إلـى اليـوم، إشـراف حمـادي صـمود، د.ط، كليـة الآداب منوبـة، جامعـة الاداب والفنون والعلوم الانسانية. د.ت.

-الحجاج عند أرسطو (هشام الريفي)، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية- تونس.

-الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بو بلوطة رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠١٠م.

-الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، تأليف الدكتور محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م.

-الحجاج في التواصل، تأليف فيليب بروطون ، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠١٣م،

-الحجاج في الخطاب السياسي، الدكتور زكرياء السرتي، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٣م.

-الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، تأليف عبد الله صَولة ، دار الفارابي، بيروت – لبنان،، ط٢، ٢٠٠٧م.

-الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الدكتور عبد النبي ذاكر، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠، ٢٠١١م.

-الحجاج واللغة (شكري المبخوت) بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية- تونس.

-الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات فيخطب ابن نباتة، الدكتور باسم خيري، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق – الديوانية، ط١، ٢٠١٦م.

-الحجاج ونظريات التواصل، الدكتورة فاطمة داؤد، بحث منشور في كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير الدكتورة بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط١، ٢٠١٢م.

-الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، بحث منشور ضمن مجلة عالم الفكر، العدد ١، مج ٣٤، ٢٠٠٥م.

-الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الراضي، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، اشراف الدكتور حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠٢٠م.

-حياة الإمام الحسين دراسة وتحليل، تأليف الشيخ باقر شريف القرشي، دار جواد الائمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

-الحياة السياسية للإمام الحسن، تأليف السيد جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

-خطاب التفسير التأويلي ملجأ القصدية المرجعيات التقابلية (حامد حسن الياسري)، مقال منشور في جريدة الزمان على الموقع الالكتروني www.azzaman.com

-الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، تأليف هاجر مدقّن ، منشورات الاختلاف، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ_ ٢٠١٣م.

-الخطابة، لارسطو، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، طبعة دار الرشيد، وزارة الثقافة والأعلام العراقية، ١٩٨٠م.

-الخطاب والحجاج، تأليف الدكتور أبو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

-دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، تأليف الدكتورة سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٩.

-دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت٤٧١هـ ، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

-دلائل الإمامة، تأليف أبي محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٣هـ.ق.

-سيرة الأئمة الأثني عشر، تأليف هاشم معروف الحسني، ذوي القربى، قم- إيران، ط٢، ١٤٣٠هـ.

-شذا العرف في فن الصرف، تأليف أحمد الحملاي ت١٣١٥هـ، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ط.

-شرح ٱبن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت:٧٦٩هـ)، دار التراث، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

-شرح نهج البلاغة، تأليف ٱبن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٦٧م- ١٣٨٧هـ.

-شظايا لسانية، الدكتور مجيد الماشطة، ط١، دار السياب- لندن ، ٢٠٠٨م.

-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تأليف أبي الحسين بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ، (د.ط)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: مكتبة ومطبعة دار إحياء التراث للكتب العربية، القاهرة- مصر، ١٩٧٧م.

-صحيفة الإمام الحسن، تأليف جواد قيومي أصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط١، ١٣٧٥ق.

-علل الشرائع، تأليف الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القُمي ت٣٨١هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

-علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة- مصر. ط٢، ٢٠٠٥م.
-عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، تأليف الدكتور عبد السلام عشير، د.ط، أفريقيا الشرق، الغرب، ٢٠٠٦م.
-فلسفات تربوية معاصرة، الدكتور سعيد إسماعيل علي، طبعة عالم المعرفة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، الكويت.
-فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف، تأليف هانس يورغ غادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين ، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، المركز الثقافي العربي المغرب العربي، ط٢، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، تأليف الدكتور طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
-في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، الدكتور علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م،.
-القاموس الموسوعي التداولي، تأليف جاك موشلار- أن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، د.ط ، ٢٠١٠م.
-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الدكتور احمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٥م. ومنشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
-الكافي، تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ت٣٢٨هـ ، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران.

-كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت بعد ٤٠٠هـ ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،(ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
-كشف الغمة في معرفة الأمة، تأليف أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الارملي،(ت: ٦٩٣هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
-الكفايات التدريسية اللازمة لمدرسات التربية الأسرية في المرحلة الثانوية، بشرى محمد حسن العبيدي، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
-الكفاية اللغوية في كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، الدكتورة سعاد كريدي و خالد حويِّر الشَّمس، بحث منشور في مجلة اوروك، جامعة المثنى، المجلد:٦، العدد:١، ٢٠١٣م.
-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ت٩٥٧هـ ، تحقيق: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).
-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، تأليف الدكتور طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.
-اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، تأليف الدكتور مرتضى جبار كاظم ،منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف،بيروت- لبنان،ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، مجموعة مؤلفين، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، للنشر والتوزيع، سوريا- اللاذقية، ط١، ٢٠١٠م.

-لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، تأليف الدكتور نعمان بوقرة ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

-اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، الدكتور سمير شريف استيتية ، الم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

-لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، تأليف مُحمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩١م.

-اللغة والحجاج، تأليف الدكتور أبي بكر العزاوي ، دار العمدة في الطبع،، ط١ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

-اللغة والمعنى والسياق، تأليف جون لاينز ، ترجمة: الدكتور عباس صادق الوهاب، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط١، ١٩٨٧م.

-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ٱبن الأثير، تحقيق: دكتور أحمد الحوفي، دكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر،، د.ط، د.ت.

-مدخل إلى الحجاج افلاطون وارسطو وشايم بيرلمان، الدكتور محمد الولي، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠، ٢٠١١م.

-مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية، تأليف الدكتورة بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

-المصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، تحقيق: د. حسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، د.ت.

-المعجم الفلسفي، تأليف الدكتور جميل صليبا ، مؤسسة ذوي القربى، قم- إيران، ط١، ١٣٨٥.

-المغني في النحو، تأليف تقي الدين أبي الخير منصور بن فلاح اليمني النحوي ت٦٨٠هـ ، تحقي الدكتور عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، وزارة الثقافة، ط١، ١٩٩٩م.
-مفتاح العلوم، تأليف أبي يعقوب يوسف ابن ابي بكر محمد بن علي السكاكي ت ٦٢٦هـ ، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.
-مفردات ألفاظ القرآن، تأليف الراغب الاصفهاني ت٥٠٢هـ،ط٢، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مركز طليعة النور، قم – إيران.
-مقاتل الطالبيين، تأليف أبي الفرج الأصفهاني ت٣٥٦هـ، مؤسسة دار الكتاب للنشر، ط٢، قم – إيران، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
-المقاربة التداولية، تأليف فرانسواز ارمينكو، ترجمة الدكتور سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي، د.ط ، ١٩٨٦م.
-المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، تأليف ليلى كادة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج خضر – باتنة.
-من تداوليات المعنى المضمر، تأليف بن عيسى أزاييط، بحث ضمن كتاب اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، جامعة المولى اسماعيل بكلية الآداب والعلوم الانسانية مكناس، ١٩٩٢م.
-مناقب آل أبي طالب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي ٱبن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.
-منزلة العواطف في نظريات الحجاج الدكتور حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠١١م.

-موسوعة كلمات الإمام الحسن، تأليف لجنة إعداد الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم، قم ، دار المعروف للطباعة والنشر، ١٤٢٣ق، ٢٠٠٢م.

-النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، الدكتور محمد العبد، بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، بإشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

-النص والخطاب والاتصال، الدكتور محمد العبد، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة- مصر.

-النّصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تأليف فان دايك، ، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، د.ط ، ٢٠٠٠م.

-النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية (ماري آن بانو و جورج إلياس رفاتي): ٣٨٩. ترجمة محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

-نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تأليف جون لانكشو أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني ط٢، افريقيا الشرق، المغرب ٢٠٠٨م.

-نظرية الحجاج في اللغة (شكري المبخوت)، ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اشراف حمادي صمود، منشورات جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية كلية الاداب منوبة، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ت.

-نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، اشراف حمادي صمود، منشورات جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية كلية الاداب منوبة، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ت.

-نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، تأليف هشام أ. عبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م

-النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات، تأليف د. نبيل أيوب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ٢٠١١م.

-هرمنيوطيقا القرآن مقدمة تأسيسية، تأليف عبد العالي العبدوني ، دار المعارف الحكمية، بيروت– لبنان، د.ط ، ٢٠٠٧م.



الاسم الثلاثي : خالد حوير شمس

_ التولد: ١٩٨١م.

_ العنوان: ذي قار/ الناصرية/ حي الحضارات.

- الليسانس كلية الآداب جامعة القادسية، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م.

- الماجستير كلية الآداب جامعة القادسية ٢٠٠٨م.

- الدكتوراه كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠١٤م.

له أكثر من ٦٠ بحثا منشورا في مجلات محلية وعربية، ومنها

-الكفاية اللغوية في كتاب سيبويه، منشور في مجلة اوروك كلية التربية جامعة المثنى، ٢٠١١م.

-رسالة الحقوق والاعلان العالمي دراسة مقارنة في ضوء تحليل الخطاب منشور في مجلة كلية الشيخ الطوسي، ٢٠١٧م.

-لسانيات النص وتحليل الخطاب مقارنة في المصطلح منشور في مجلة دواة العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧م.

-اللسانيات السؤال المتواري والدور المغيب في العراق، منشور في مجلة كلية الاداب جامعة البصرة.

-لسانيات جومسكي في التلقي العراقي، مطبوع في كتاب جماعي، عن جامعة دجلة الاهلية .

له من الكتب المطبوعة:

-شعارات التغيير الثائرة دراسة في ضوء تحليل الخطاب، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن.

-تداولية النثر الصوفي، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن .

-النسق الثقافي واثره في البناء النصي النثري الصوفي، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن.

-اللسانيات البينية، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن .

-تعليل المصطلح النحوي دراسة في اجرائات التسمية، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن.

-المهارات اللغوية، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن.

-مهاد في التداولية مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الاردن ، ط١، ٢٠٢١م.

له مشاركة فاعلة في عدد من المؤتمرات العلمية داخل العراق وخارجه أكثر من ٥٠ مشاركة.

عضو هيئة التدريس في جامعة ذي قار، بتخصص اللسانيات.



E-Mail:alsaadiq@yahoo.com